جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

مركز
الدراسات
والبحوث

ظاهرة الانتحار

التشخيص والعلاج

د. عبد الله بن سعد الرشود

الرياض
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٣٩١

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

ظاهرة الانتحار

التشخيص والعلاج

د. عبد الله بن سعد الرشود

الطبعة الأولى
الريـــاض
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

(٢٠٠٦)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ـ
المملكة العربية السعودية. ص. ب ٦٨٣٠ الرياض: ١١٤٥٢
هاتف ٢٤٦٣٤٤٤ (ـ١ـ٩٦٦) فاكس ٢٤٦٤٧١٣ (ـ١ـ٩٦٦)
البريد الإلكتروني: Src@nauss.edu.sa

Copyright©(2006) Naif Arab University
for Security Sciences (NAUSS)

ISBN 9 - 9 -9739-9960

P.O.Box: 6830 Riyadh 11452 Tel. (966+1) 2463444 KSA
Fax (966 + 1) 2464713 E-mail Src@nauss.edu.sa.

(١٤٢٧هـ)جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشود، عبدالله بن سعد
ظاهرة الانتحار: التشخيص والعلاج ـ الرياض، ١٤٢٦هـ
١٨٥ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٩ ـ ٩ ـ ٩٧٣٩ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الانتحار	**أ ـ العنوان**
ديوي ١٧٩,٧	**١٤٢٧/١٤٤٧**

رقم الايداع: ١٤٤٧/ ١٤٢٧
ردمك: ٩ ـ ٩ ـ ٩٧٣٩ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة لـ
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

كافة الأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي صاحبها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجامعة

المحتــويات

التقديـــــــم ٣

المقدمـــــــة ٥

الفصل الأول: مفهوم الانتحار عرض وتحليل ١٧

١ . ١ صعوبة تحديد مفهوم الانتحار ٢٢

١ . ٢ التمييز بين الانتحار والتضحية ٣٣

١ . ٣ بعض المصطلحات المرتبطة بالانتحار ٣٧

الفصل الثاني: الانتحار تصنيفاته وسمات مرتكبيه ٤١

٢ . ١ أنواع الانتحار وأنماطه ٤٧

٢ . ٢ الانتحار تصنيفاته وسمات مرتكبيه ٥٤

الفصل الثالث: ظاهرة الانتحار حجمها ومدى انتشارها عالمياً ومحلياً ٦٣

٣ . ١ إحصاءات الانتحار ٦٧

٣ . ٢ الانتحار على المستوى العالمي ٧١

٣ . ٣ الانتحار في المجتمعات العربية ٧٥

٣ . ٤ الانتحار في المجتمع السعودي ٨٠

الفصل الرابع: النظريات المفسرة للانتحار ٨٧

٤ . ١ التفسير البيولوجي الفيزيقي (العضوي) ٩٢

٤ . ٢ النظريات النفسية لتفسير الانتحار ٩٤

٤ . ٣ النظريات الاجتماعية لتفسير الانتحار ١٠٢

الفصل الخامس: الانتحار من المنظور الإسلامي ١١١

٥ . ١ أسس الرؤية الإسلامية لمشكلة الانتحار ١١٦

٥ . ٢ التصور الإسلامي للإنسان والحياة و الكون ١٢١

٥ . ٣ موقف الإسلام من الانتحار ١٣١

٥ . ٤ المنهج الوقائي الإسلامي من الانتحار ١٣٨

الفصل السادس: الإطار التصوري المقترح للتخطيط التكاملي لمواجهة الانتحار. ١٤٥

٦ . ١ أبعاد التصور المقرح للتخطيط التكاملي لمواجهة ظاهرة الانتحار. ١٥٠

الخاتمـــــــــة ١٧٦

المراجـــــــــع ١٧٧

التقديـــم

الانتحار ظاهرة تقض مضاجع الإنسان المعاصر خاصة في المجتمعات الأجنبية، بيد أنها أخذت تتسرب إلى مجتمعاتنا؛ نتيجة للأمراض الاجتماعية والنفسية وضغوط الحياة المادية بالإضافة إلى ضعف الوازع الديني والتربية القويمة.

ولم تلق بعد هذه الظاهرة في أوساطنا العلمية قدراً من الدراسة والتحليل والتفسير يوازي بروز الظاهرة بهذه الصورة المقلقة، فالسلوك الانتحاري الذي يفاجأ المجتمع ببشاعته حال حدوثه إنما هو سلوك قد تكونت أسبابه وتضافرت دواعيه في داخل المجتمع بل وفي داخل الأسرة، بشيء من عدم الاكتراث والمبالاة.

فالعوامل الاجتماعية والنفسية والطبية لهذه الظاهرة تبدو في بداياتها طفيفة في خلجات النفس، ثم تتعقد شيئاً فشيئاً إلى مستوى التفاقم والمرض المستعصي.

وظاهرة الانتحار في معظم خصائصها وسماتها تحدث من قبل المقدمين عليها دون ما إغراء أو تحريض أو قصد إلى تضحية في سبيل قيمة اجتماعية أو دينية أو فكرية، وإنما يتساقط المرء في مثل هذه الأحوال كورقة ذابلة من نسيج المجتمع . . . كانت حرية بمزيد من الرعاية والاهتمام.

ولعل الأسرة وما ينتابها من تفكك، أو تفتت مدعاة إلى هذا التحطم الإنساني البالغ البشاعة؛ لذا فإن على مراكز البحوث العربية المتخصصة رصد هذه الظاهرة المستجدة في مجتمعاتنا ومتابعتها ودراستها في إطار عمل علمي متكامل لا يغفل أي جانب من جوانب الظاهرة وعواملها المحفزة من

تزعزع الثقة، وضعف الشخصية، وشيوع الاضطرابات النفسية بسبب بعض الفواجع العاطفية والكوارث المالية والاقتصادية، ثم إرساء الدعائم القوية لبناء الإنسان من القيم والمثل في سبيل الحماية والوقاية.

وتأتي هذه الدراسة ضمن منظومة البحوث التي يجريها مركز الدراسات البحوث بالجامعة في برنامج عمله السنوي لتترجم أهمية تناول هذه الظاهرة وتشخيصها ومعالجتها في وقت باتت تقلق مجتمعاتنا المعاصرة.

وإن الجامعة لتتطلع من خلال اعتماد نشر هذه الدراسة ووضعها بين أيدي المعنيين والباحثين إلى أن تسهم في معالجة هذه الظاهرة بالأسلوب العلمي المنشود.

والله من وراء القصد ، ، ، ،

رئيس

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

أ.د. عبدالعزيز بن صقر الغامدي

المقدمـــة

هناك اتفاق عام وإجماع يكاد يكون كاملاً بين المهتمين والمتخصصين والمشتغلين بأمور التنمية (تنظيراً وممارسةً) على حقيقة تكاد تكون بين بدهيات العمل التنموي مؤداها: أنَّ الإنسان هو محور التنمية وغايتها وهدفها الأصيل، ومن ثم تتجسد فيه الوحدة الجدلية بين الوسيلة والغاية. ومن هنا، فإن مدى التفاعل بين الإنسان وبيئته الاجتماعية التي يعيش فيها هو الذي يحدد مستوى تقدم المجتمع أو تخلفه، فالمجتمع الذي يهيئ الفرص لكل مواطن فيه كي ينمي طاقاته الاجتماعية والاقتصادية مستخدماً أقصى هذه الطاقات لمزيد من الإنتاج يعدّ مجتمعاً متقدماً، بينما نجد أنَّ المجتمع المتخلف هو الذي يفتقد عنصر الديناميكية الإنسانية المنتجة حتى وإنْ كان متمكناً من أدوات الرفاهية الاقتصادية.

وإذا كانت التنمية الاجتماعية ـ كما تشير بعض الكتابات والدراسات ـ تقوم على بعدين أساسيين بينهما ارتباط واضح وهما:

١ ـ تنمية إمكانيات وقدرات الناس على العمل المستمر.

٢ ـ تفعيل المؤسسات والأنظمة الاجتماعية وتنميتها وتطويرها لضمان إشباع الاحتياجات الإنسانية على كل المستويات ولمختلف المراحل.

فإن ذلك يعكس مدى الاهتمام الواضح الذي يحظى به العنصر البشري باعتباره المحور الذي ترتكز عليه سياسات التنمية وخططها وجهودها كما أسلفنا. ومن ثم تبرز أهمية الجهود العلمية الموجهة نحو دراسة الظواهر الاجتماعية وتحليل وتفسير المشكلات الإنسانية التي من شأنها أنْ تقف حجر عثرة أمام تعبئة الموارد البشرية المتاحة وتطويرها لتحقيق أهداف المجتمع.

ومن المشكلات الإنسانية التي فرضت نفسها على الإنسان في هذا العصر «مشكلة الانتحار» أو « قتل النفس»، حيث يعمد الإنسان إلى قتل نفسه وتدمير ذاته والتخلص من حياته.

وتشير أدبيات «ظاهرة الانتحار» إلى أنَّ الانتحار ظاهرة إنسانية عامة صاحبت الوجود البشري منذ البدايات الأولى وحتى يوم الناس هذا في مختلف الجماعات الإنسانية [١]. إلا أنَّ الدراسات الحقلية والإحصاءات الجنائية في معظم دول العالم تشير إلى أنَّ الإقبال على الانتحار يتزايد بشكل مضطرد في العصر الحديث مرتبطاً بانتشار التصنيع، وتعقد الحياة والتفكك الاجتماعي في كثير من الجماعات[٢].

وإذا كان الانتحار سلوكاً إنسانياً واكب الوجود البشري على كوكب الأرض منذ بداياته الأولى، إلا أنه ظل قروناً طويلة مجرد سلوك يصدر عن بعض الحالات الفردية الخاصة وفي مواقف خاصة، إلا أنَّ الأمر قد اختلف جوهرياً مع تفجر الثورة الصناعية والتقدم الصناعي والتكنولوجي السريع، وما واكبه وترتب عليه من تغير اجتماعي سريع، وضغوط اقتصادية شديدة تميز بها عصرنا الحالي، كل ذلك وغيره أدى إلى أن يصبح الانتحار ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار ولا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات. وذلك نتيجة الإحباطات التي يقابلها الأفراد، وعجزهم عن ملاحقة

---

(١) أشارت البحوث والدراسات الانثروبولوجية إلى أن الانتحار كان موجوداً في الجماعات البدائية والمجتمعات التاريخية منذ القدم فهو قديم قدم المجتمع الإنساني ذاته.

(٢) مكرم سمعان: « مشكلة الانتحار » دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م، ص ٢٧.

خصائص ومتطلبات هذا العصر والتوافق معها، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، مما يولد لديهم مشاعر الاكتئاب والقلق والتوتر واليأس والعجز الذي يدفعهم إلى الانتحار[1].

لقد أكدت البحوث العلمية أنَّ السلوك الانتحاري مشكلة إنسانية يتزايد خطرها في العالم مع تقدم الأمن ونشوء المدن وانتشار الصناعة الرأسمالية وتعقد سبل الحياة بوجه عام، وما يصاحب ذلك وما يترب عليه من اختلال اجتماعي وعزل الفرد واختلال شخصيته وانحراف سلوكه. ومن هنا، أصبح من الطبيعي أنْ يُنظر للانتحار على أنَّه ظاهرة إنسانية من حيث أنَّ أفراداً يقومون بتنفيذه على نحو ما في كل المجتمعات بصورة تكاد تكون شاملة[2].

وبادئ ذي بدء يود الباحث أنَّ يطرح هنا مجموعة من الأفكار والاعتبارات التي يرى أهمية التأكيد عليها وإبرازها للوصول إلى فهم أعمق لطبيعة مشكلة الانتحار وأبعادها وجوانبها المختلفة، والتي تشكل محور الأفكار التي تعالجها الدراسة الراهنة حول قضية الانتحار. ويمكن لنا أنَّ نوجز أهم هذه الأفكار على النحو التالي:

---

(١) حسين علي قايد، «دراسات في الصحة النفسية»، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص٦٣.

(٢) راجع كلاً من:

- مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره.
- ليون مينارد، «الانتحار والأخلاق»، ترجمة، عادل العوا، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٧م.
- ناجي الجيوش، «الانتحار دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري، مؤسسة الشبية للإعلام والنشر، دمشق، ١٩٩٠م.

١ ـ إنَّ الانتحار في حقيقته فعل إنساني أي قاصر على الإنسان حتى إن المفكر الألماني « إمانويل كانط » يعدّ تلك النزعة الغريبة إلى التدمير الذاتي وإيقاف عجلة الحياة الشخصية سلوكاً إنسانياً متميزاً وخالصاً يعني هذا أنَّ الإنسان هو المخلوق الوحيد (من بين الكائنات الحية) الذي ينتحر بصفة إرادية ؛ أما سلوك بعض الحيوانات الذي يؤدي إلى الدمار (تدمير النفس)، ففيه بالضرورة معالم العفوية والخطأ في التقدير الغريزي ومما يؤكد هذه الحقيقة أنَّ التجارب العلمية على الحيوانات عامة ، وعلى الفقريات والثدييات العليا خاصة أثبتت عدم وجود سلوك حقيقي للموت أو تمثل له ومن ثم فلا يمكن القول بوجود سلوك انتحاري بين الكائنات تحت البشرية[1] .

٢ ـ تشكل حالات الانتحار على الصعيد الإنساني نزعة دقيقة وعميقة الغور في النفس الإنسانية يعبر عنها البعض عبر الفعل الواقعي الذي يتمثل في وضع حد للحياة والتخلص منها . وعلى الرغم من قوة غريزة الحياة (وحب البقاء والخلود) لدى الإنسان والتأثير فيه نحو التشبث بالحياة والتملك والتفوق والإنتاج والنجاح . . . إلخ، إلا أنَّ هنالك غريزة أخرى كامنة في الظل تدفعه حين ينشط إلى تدمير كل هذا، تلك هي «غريزة الموت» الرابضة في أعماق النفس الإنسانية والمحركة للسلوك الانتحاري .

٣ ـ إذا كان الانتحار لوناً من ألوان السلوك الإنساني ـ كما أسلفنا ـ وإذا كان السلوك الإنساني في حقيقته قصداً وحركة (نية وفعلاً) ، فإن

---

(١) مكرم سمعان ، « مرجع سبق ذكره» ، ص ٢٦ .

التقصير يتجسد في الفكر والإرادة، والحركة تتحدد في الممارسات العملية ، وتنظيم هذه المكونات السلوكية في حلقات ثلاث يولد بعضها ببعض، فتبدأ الحلقة الأولى في ميدان الفكر ، ثم تليها الحلقة الثانية في ميدان الإرادة إلى أن تنتهي الحلقة الثالثة في الممارسات العملية خارج الجسد البشري[1] . وهذا أيضاً يعني أنَّ أية جهود لفهم السلوك الانتحاري ودوافعه وأسبابه ووضع السياسات والخطط للوقاية منه والحد من تفاقمه ينبغي أنَّ تنطوي على تلك الدوائر الثلاث : الفكر، والإرادة ، والفعل .

٤ ـ يمكن النظر إلى الانتحار على أنه «مشكلة اجتماعية»Social problem من حيث ارتباطها الوثيق بالبناء الاجتماعي، والإطار الثقافي الذي يبين نية الفرد من ناحية ، ومن حيث كونه لوناً من ألوان السلوك المرفوض اجتماعياً ، ولما يترتب عليه من آثار ضارة بالفرد والمجتمع على السواء . والمشكلة الاجتماعية حسب تعريف (جورج لندبرج) هي أي سلوك انحرافي في اتجاه غير موافق عليه له من الدرجة ما يعلو مستوى الحد التسامحي للمجتمع، ومثل هذا السلوك الذي يجاوز حدود التسامح يؤدي إلى فعل عام يهدف إلى حماية المجتمع وإصلاح المخالف أو الجاني وتحذير كل إنسان من أنَّ الانحراف الذي يتعدى نقطة معينة لن يتسامح معه أو فيه [2] .

---

(١) ماجد عرسان الكيلان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا غالات الفرس، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ١٩٩٠م ، ص١٢ .

(٢) عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي ، منشورات ذات السلاسل، الكويت ، ١٩٨٤م، ص ١٦٨ .

٥ ـ إنَّ الانتحار مشكلة ذات طبيعة خاصة بين المشكلات المتعددة والمعقدة التي تواجه إنسان هذا العصر، وتتجسد تلك الطبيعة الخاصة لمشكلة الانتحار من كونها تمثل لوناً فريداً من (الجرائم) التي يكون فيها الجاني والمجني عليه شخصاً واحداً في آن واحد، إذ أنَّ محاولة قتل النفس ترمي في نهاية المطاف إلى تدمير الذات بواسطة الذات، وهذا هو البعد الذاتي (الشخصي) للمشكلات، غير أنَّ للمشكلة بعداً آخر يتمثل في أنها تعد عملاً عدائياً موجهاً ضد الآخرين (الأسرة، والجيرة، والمجتمع، والإنسانية) من حيث اعتقاد المقدم على الانتحار في حالات كثيرة أنَّ عمله هذا لابد وأن يجلب الحزن والندم لأقاربه وأعضاء مجتمعه وللإنسانية قاطبة[١].

٦ـ إن الباحث في أعماق الفكر الإنساني في مختلف العصور والأزمان وفي شتى المجتمعات والحضارات، ليجد أنَّ القيم الإنسانية في المجتمعات المختلفة عبر الأزمان تغايرت في موقفها من قضية الانتحار بين الاحتفاء به تارة وتحريمه تحريماً قاطعاً تارة أخرى، كما أنَّ المفكرين والفلاسفة والأدباء اختلفوا في تناولهم لقضية الانتحار بين مشجع له وداع إليه، وبين رافض له وناه عنه[٢]، وهو ما يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من تعقد قضية «الانتحار» وارتباطها الوثيق بأفكار الأيديولوجيات التي يعتنقها الإنسان والتي تحدد تصوره لطبيعة الإنسان والحياة والمجتمع والكون وتحدد بالتالي موقفه من قضية الانتحار.

---

(١) إحسان الحسن، العوامل المسببة للانتحار، مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية، السنة الرابعة، العدد (١)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٣٨.

(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

٧ ـ وأخيراً فإن الانتحار ظاهرة مختلفة الأبعاد متعددة الجوانب متباينة المفاهيم غير منفصلة عن باقي ظواهر الحياة بل هي تؤثر فيها وتتأثر بها إلى أبعد الحدود، فقضية الانتحار في جوهرها تطرح مسائل شتى وذات أبعاد متشعبة (اجتماعية ، ونفسية، وطبيعية ، وقانونية، وفلسفية ، اقتصادية، سياسية، ودينية وأخلاقية) وترتبط بكل مجالات وجوانب الحياة الإنسانية وهذا يعني أنَّ من الصعوبة بمكان (إنْ لم يكن مستحيلاً) دراسة جميع جوانبها وأبعادها دراسة وافية في صفحات معدودة.

إنَّ التزايد المضطرد في معدلات الانتحار (ومحاولات الانتحار) في العقود الأخيرة الذي أظهرته (وكشفت عنه ورصدته) إحصاءات مراكز البحوث، والمهتمون بالفعل الإنساني الأمن العام في العديد من دول العالم المتقدم والنامي على السواء، والذي عكسته وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، لفت الأنظار إلى خطورة المشكلة وتناميها مما جعلها محط أنظار واهتمام العديد من الدارسين والباحثين والفلاسفة والمفكرين.

وتشير تصنيفات منظمة الصحة العالمية (WHO)[1]. إلى أنَّ الانتحار يعد من أهم ثلاثة أسباب للوفاة (من بين ١٤٠ سبباً ممكناً للوفاة) وتمثل تلك الأسباب الثلاث في :

أ ـ NASH وترمز إلى الموت الطبيعي (القضاء والقدر).

ب ـ الانتحار Suicide

جـ ـ القتل Homicide

---

(1) E.S.Shneidman (Suicide) , in : Edwins, Shneidman, Death : Current Perspectives (Paloalts.. Mayfield Publishing company.1980)P,:430

وكان طبيعياً أنَّ تستقطب مشكلة الانتحار ـ في العصر الحديث ـ اهتمام مختلف العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع وعلم النفس، وعلم الإجرام، والقانون والسياسة ثم تمحورت حول الظاهرة مختلف المهن الإنسانية ومنها الطب والتربية وأفرز هذا الاهتمام في محصلته علماً مستقلاً بذاته، أطلق عليه«علم الانتحار» suicidology .

وتعد الدراسة الراهنة محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على مشكلة الانتحار في بعدها العالمي والمحلي مستهدفة إلقاء الضوء على طبيعة المشكلة وحجمها وأبعادها وفهم جوانبها المختلفة مستفيدة في ذلك من من جهود علمية سابقة في التخصصات المختلفة .

ويأمل الباحث أن يجد المخططون وصناع القرار وواضعو السياسات الاجتماعية والباحثون والمهتمون بالقضايا والظواهر الاجتماعية والسلوكية في هذه الدراسة ما يساهم في كشف الغطاء عن طبيعة السلوك الانتحاري وتحديد مفهومه ودوافعه وأسبابه ووضع الخطط العلاجية والإصلاحية والوقائية التكاملية والمناسبة للحد من هذه المشكلة واختزال آثارها الضارة والمدمرة على الفرد والمجتمع من خلال القدرة على رصد العوامل والظروف التي تؤدي في مجملها إلى تزايد السلوك الانتحاري باطراد والتحكم فيها بما يساهم في مواجهة هذه الظاهرة والحد من الآثار السلبية الناجمة عنها . وتستند هذه الدراسة كمبرر لإجرائها إلى بعض الاعتبارات نوجز أهمها فيمايلي :

١ ـ ما أكدته البحوث والدراسات العلمية (في مختلف التخصصات) وما تقرره الإحصاءات الرسمية المعتمدة من تزايد معدلات الانتحار (ومحاولات الانتحار والشروع فيه وهو ما يسمى بالسلوك الانتحاري) في المجتمعات بوجه عام وفي المجتمع الغربي المتقدم صناعياً بوجه خاص وتشير تلك الدراسات أيضاً إلى تزايد معدلات

الانتحار بشكل كبير لدى الشباب والمراهقين والراشدين في العقود الأخيرة[1]. ما يجعل من الانتحار مشكلة تفرض نفسها على الأوساط السياسية والفكرية والعلمية وتشكل تحدياً للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية.

٢ ـ تعد مشكلة الانتحار من المشكلات الاجتماعية التي تهدد بقاء أي مجتمع وتحدّ من استقراره، حيث إنها تشير إلى الفشل في التكيف مع المعايير الاجتماعية التي ارتضاها المجتمع، كما أنها تعد مؤشراً على عدم تقبل الأفراد للنظام الاجتماعي القائم من ناحية أخرى.

٣ ـ خطورة بعض الاتجاهات الفكرية بشأن ظاهرة الانتحار وخاصة من بعض الأعلام في تاريخ الفكر والفلسفة الحديثة والمعاصرة يدعون إليه ويفضلونه حلاً لمأساة الوجود كما يقولون[2].

٤ ـ ما تشير إليه الدراسات العلمية، وتؤكده الحوادث والوقائع التي تتناولها وسائل الإعلام المحلية من أنَّ ظاهرة الانتحار بدأت تنتشر في مجتمعاتنا الإسلامية في العصر الحديث، تلك المجتمعات التي لم تكن تعرف هذه الظاهرة بأبعادها وسعة انتشارها كما عرفتها المجتمعات الغربية. هذا ولقد حاولت بعض الكتابات ربط الانتحار في المجتمعات الإسلامية بآثار الثورة الإعلامية والاتصالاتية على شعوب هذه المنطقة.

٥ ـ ما أكدته الدراسات الاجتماعية والبحوث الأمبيريقية من أنَّ مجتمعاتنا العربية بوجه عام ومجتمعاتنا الخليجية على وجه الخصوص تشهد اليوم مرحلة تحول اجتماعي في نظمها الاجتماعية

(1) Ibid, P : 435..

(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

المختلفة وفي أنساقها الثقافية التقليدية، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور مجموعة من المشكلات الاجتماعية لعلَّ من أهمها انهيار الروابط والعلاقات الاجتماعية التقليدية وتدهور أنساق القيم التي كانت تحكم هذه العلاقات والتفاعلات بين الأفراد أو الجماعات في المجتمع الواحد[1]. ولا شك أنَّ هذه الخلخلة في البنية الاجتماعية التي تتجلى في تعويض أسس الأمن الاجتماعي وانهيار الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تقوم عليها وحدة الجماعة وتماسكها واستمرار وجودها في حالة بين الاستقرار والتوازن سوف تشكل بيئة مواتية ومناخاً اجتماعياً ملائماً لظهور الجريمة بأنواعها وأنماطها وبالتالي ستتزايد معدلات الانتحار والشروع فيه ومحاولته.

٦ ـ إنَّ من الأمور الجديرة بالانتباه ما أحدثته ثورة المعلومات والاتصالات في السنوات الأخيرة من آثار انعكست على حجم مشكلة وطبيعتها وأبعادها في المجتمعات التي أصبحت بفضل هذه الثورة قرية صغيرة، الأمر الذي أثار قلقاً لدى السلطات الحكومية في العديد من البلدان حيث تفاقمت ـ وبشكل مفزع ـ ظاهرة انتحار الشباب عن طريق الإنترنت[2]. تلك الظاهرة التي بدأت بوادرها

---

(١) أحمد الربايعة، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٧.

(٢) فيما يعرف «بالانتحار الجماعي عن طريق الإنترنت» حيث بقواعد الشباب على شبكة الإنترنت على أساس ميثاق يعقدونه فيما بينهم يتعاهدون فيه على الانتحار ثم يلتقون في أعقابه للانتحار الجماعي، كما أن هناك العديد من المواقع على شبكة الإنترنت تقوم بشرح طرق الانتحار والتقريب بين الشركاء في هذا المجال، وتبادل التجارب والأفكار حول الوسيلة الأنجع لتحقيق الهدف، وتعرض تلك المواقع ـ للأسف ـ بالتفصيل لوائح مبيعات الأجهزة الآلات التي تستخدم لهذا الغرض.

في أواخر التسعينيات من القرن الميلادي الماضي وسرعان ما اتخذت طابعاً دولياً ، يحتم على العلوم الإنسانية تقديم المساعدة الإنسانية والمساهمة بشكل فاعل في دراسة الظاهرة وتفسير أسبابها وتقديم التصورات العلمية والتطبيقية للحد منها ومواجهتها .

٧ـ أصبحت مشكلة الانتحار لفرط خطورتها وأضرارها البالغة وآثارها المدمرة موضع اهتمام العديد من الأوساط العلمية والإعلامية والسياسية والمهنية في كثير من المجتمعات، واتخاذ الخطوات اللازمة والفعَّالة لوضع السياسات والبرامج والخطط الكفيلة بالتعامل مع تلك المشكلة[1] .

٨ـ الملاحظ أنَّ كل باحث اجتماعي أو نفسي ممن تعرضوا لدراسة مشكلة الانتحار إنما ينطلق في دراسته لمشكلة الانتحار وتفسيرها من خلفيته الفكرية وانتماءاته الأيديولوجية، فمنهم من أعدّها نتيجة مباشرة للأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها بعض الفئات ومنهم من أرجع المشكلة إلى أسباب مرضية (نفسية أو عقلية)، ومنهم من نظر إلى الأسباب نظرة تكاملية (تشمل الجوانب والتفسيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية . . . إلخ) .

ومن هنا، فإن الدراسة الراهنة تعد محاولة علمية لاستجلاء طبيعة وأبعاد وجوانب مشكلة الانتحار وأسبابها وعوامل انتشارها والآثار الناجمة

---

(١) أعلنت الحكومة اليابانية أنها بصدد وضع برنامج مكثف للتعامل مع مشكلة ارتفاع معدلات الانتحار تشرف عليه وزارة الصحة اليابانية مستعينة بخبرات الأخصائيين في مجالات متعددة من بينها الصحة النفسية والاجتماع، كما أعلن مسؤول وزارة الصحة في اليابان عن تخصيص ميزانية خاصة لإجراء البحوث لإنتاج أدوية لمنع الانتحار .

عنها على مستوي الفرد والمجتمع، وتتوخى إيجاد السبيل لوضع السياسات والخطط والبرامج التي تكفل مواجهة المشكلة في مجتمعاتنا العربية بوجه عام والمجتمع السعودي بوجه خاص، وذلك من خلال التوصل إلى بعض المؤشرات التخطيطية التكاملية التي يمكن أن تسهم في وضع تصور لخطة شاملة على المستوى الوطني لمواجهة الظاهرة.

هذا وتجدر الإشارة إلى ثلاثة أمور يُرى أنها تشكل جوهر هذه الدراسة المتمثلة في مايلي :

١ ـ إنَّ هذه الدراسة تميل إلى المنهج التكاملي في تناول ظاهرة الانتحار تفسيراً وتعاملاً ومواجهة باعتبار أنَّ المنهج التكاملي هو المنهج الأنسب لتناول مثل هذه الظاهرة المعقدة في جوانبها وأبعادها وعواملها وأسبابها .

٢ ـ إنَّها تنطلق من رؤية علمية تقوم على الربط بين مشكلات الانتحار وبين البيئة والمجتمع الذي تظهر فيه وتتزايد معدلاتها، ومن ناحية أخرى الاهتمام بالربط بين الانتحار والإطار الاجتماعي والثقافي المتمثل في النظم الاجتماعية والثقافية السائدة بما تحويه من قيم ومعايير وعادات وتقاليد وعقائد وأفكار.

٣ ـ إنَّ الدراسة الراهنة تنطلق من المنظور الإسلامي بأبعاده المختلفة وخصوصيته المتميزة عن الرؤى والأفكار والتصورات الوضعية التي تناولت مشكلة الانتحار، وهذا يعني أننا نتناول مشكلة الانتحار في ضوء التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية وللحياة الإنسانية وللمجتمع الإنساني.

الفصل الأول

مفهوم الانتحار
(عرض وتحليل)

١ . مفهوم الانتحار: عرض وتحليل

تمهيـــد

لا يخفى على كل من كان له صلة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية وأدبياتها أنَّ واحدة من أهم المشكلات الأساسية في البحوث والدراسات والجهود العلمية التي تنتمي إلى هذا الفرع من العلم والمعرفة هي مشكلة تحديد المفاهيم[١]، والمصطلحات المستخدمة ودلالتها على الوقائع، أو الأغراض، أو العلاقات، أو المتغيرات التي تندرج تحت مجال البحث والدراسة حتى تكون الإشارة إليها واضحة ومحدودة ودقيقة ومنضبطة لتضمن التواصل العلمي الإيجابي والبناء بين مختلف أطراف العملية العلمية. ولا شك أنَّ عملية تحديد المفاهيم والمصطلحات وضبطها تعد عملية مهمة وحيوية وضرورية ليس في مجال البحوث والدراسات العلمية فحسب، بل في الحوارات والأحاديث اليومية العامة لتحقيق التواصل الإنساني الفعَّال، حتى أنَّ (فولتير) نُقل عنه قوله: «إذا كنت تريد أنْ تتحدث معي فعليك أولاً أنْ تحدد مصطلحاتك بدقة». ومن هنا يأتي التأكيد على

---

(١) المفهوم: concept عبارة عن صورة ذهنية تخلص جانياً من جوانب الواقع وتمكننا من التعامل النظري ذي الطبيعة الكلية باعتبارها تجريداً يمثل هذا الجانب من الواقع سواء كان ذلك الجانب شيئاً ملموساً أو خاصية معينة أو ظاهرة بعينها صورتها الكلية، وتسمى تلك الصورة الذهنية المتفق على فحواها أو معناها بالمفهوم concept في حين تسمى الرموز والألفاظ الدالة عليها باتفاق العلماء (كأنها بطاقة عنوان ملصقة على المفهوم) بالمصطلح أو الاصطلاح أو الاصطلاحات. (انظر: إبراهيم عبدالرحمن رجب، «مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية»، دار الصحابة للنشر والتوزيع، شبين الكوم، ٢٠٠٥م، ص ١٩٦).

ضرورة البدء بتحديد المفاهيم الأساسية المستخدمة في البحوث العلمية بعامة وفي مجال العلوم الاجتماعية بوجه خاص حتى تتحدد مدلولاتها ومضامينها وإيحاءاتها ، ويتضح نطاق البحث ويتجلى أساس تصنيف الوقائع ، ويمكن وصف الأعراض والظواهر بصورة محددة تسمح بالاستدلال والاستنتاج دون اختلاط مضلل أو غموض يشتت الجهد[1] .

والانتحار ـ شأنه شأن الغالبية العظمى من مصطلحات العلوم الاجتماعية والنفسية والسلوكية- تعددت تعريفاته ، واختلفت مفاهيمه في الدراسات والبحوث والكتابات التي تناولت المشكلة حتى اليوم ، إلى الدرجة التي يمكن معها القول إنه لا يوجد تعريف شامل ومحدد ومتفق عليه للانتحار ، وربما يرجع ذلك بالإضافة إلى طبيعة الموضوعات والظواهر التي تتناولها تلك العلوم بصفة عامة ، إلى طبيعة مشكلة الانتحار وتعقدها وتعدد أبعادها وجوانبها من ناحية ، وتعدد التخصصات العلمية التي تناولتها بالبحث والدراسة من ناحية ثانية هذا فضلاً عن تعدد المذاهب الأيديولوجية التي يتبناها وينطلق منها الكاتب أو الباحث العلمي الذي يتعرض لدراسة تلك المشكلة من ناحية ثالثة ، وفي هذا الصدد يؤكد (سمعان) في دراسته القيمة عن «مشكلة الانتحار» التي هي من الدراسات الرائدة في الوطن العربي لظاهرة الانتحار[2] . وأنَّه وعلى الرغم من أنَّ الغالبية من الباحثين

---

(١)أحمد يوسف أحمد بشير ، « إشكالية تحديد المفاهيم والمصطلحات في ضوء المذهبية الإسلامية» ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ٩٨ .

(٢) تعدّ الدراسة التي أجراها مكرم سمعان على مشكلة الانتحار بالقاهرة من الدراسات الرائدة التي اعتمدت عليها جميع البحوث والدراسات العلمية التي أجريت على الانتحار باللغة العربية ، ولقد أجريت هذه الدراسة بجمهورية مصر العربية عام ١٩٦٤م .

والمؤلفين بدؤوا تعريف الانتحار لغوياً، إلا أنهم اختلفوا على أنواع السلوك التي تنسحب عليها هذه التسمية (المصطلح)، الأمر الذي كان له أثره الواضح فيما شاب النتائج التي تم التوصل إليها من غموض وما اتسمت به النظريات من قصور عن التفسير لأنها قامت على تصنيف وتفسير وقائع لا تجتمع في نسق واحد وأعراض لا يضمها كل متسق[1].

وإذا كان الانتحار في أبسط معانيه هو إحدى الوسائل المعروفة للبشر منذ القدم والتي تؤدي إلى الموت، إلا أنَّه يعد الوسيلة الوحيدة التي يقوم فيها القاتل بقتل نفسه عمداً، أي أنَّ القاتل والمقتول شخص واحد دائماً لأنَّه إذا ظهر أي سبب آخر للموت فإنّه بالتالي تنتفي عنه صفة الانتحار ويصبح جنائياً أو صحياً (عضوياً) أو لأي سبب من الأسباب البيئية. ويمثل الانتحار بهذا التصور قمة التراجيديا الإنسانية، ذلك لأنّ الإنسان في الموقف الانتحاري تتنازعه قوتان في أعماق نفسه وأغوارها، وهما قوة القاتل وقوة القتيل معاً، وذلك حين يحول الإنسان بإرادته قُدرته على الفعل إلى تدمير ذاته وهدم كيانه وإعدام وجوده[2].

وقبل أنْ نشرع في عرض وجهات النظر المختلفة حول تحديد مصطلح الانتحار وتعريفه، نود الإشارة إلى مجموعة من الحقائق التي أكدتها البحوث والدراسات الأمبيريقية لظاهرة الانتحار في مجتمعات متعددة وثقافات متباينة، وتعد تلك الحقائق أساساً ينبغي أخذه في الاعتبار عند محاولة التوصل إلى تعريف مناسب لمشكلات الانتحار، ومن تلك الحقائق:

---

(١) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.
(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، ص ١١

١ ـ إنَّ الانتحار سلوك إنساني متعدد الدوافع والبواعث والأسباب والعوامل فضلاً عما يكون بينها من تفاعل متبادل يؤدي إلى بروز هذا السلوك في أرض الواقع .

٢ ـ إنَّ السلوك الانتحاري ينشط ويبرز إلى الوجود حين يختل التوازن الفطري بين غريزتي الحياة والموت لدى الإنسان، وهذا يعني أنَّ السلوك الانتحاري لا يولد لحظة تنفيذه الفعلي أو محاولة تنفيذه وإنما يكون رابضاً كخيار في طبقات الوعي الغائرة إلى أن يطفو على السطح وينشط في ظروف معينة ليكون الخيار الوحيد الذي يراه الشخص في تلك اللحظة على أنَّه أفضل الحلول المتاحة أمامه .

ومن هنا، فإن الانتحار ليس مجرد حدث عشوائي وإنما هو منظومة فكرية ووجدانية وسلوكية تنتظم أجزاؤها عبر السنين والأحداث التي يمر بها ويعيشها الإنسان خلال مراحل حياته ليبرز كوسيلة للخروج من مأزق أو أزمة شخصية وقع تحت ضغوط ففاقت احتماله بحيث يصل إلى حالة من انعدام الأمل Homeliness أو قلته أو انعدام الحيلة .

١ .١ صعوبة تحديد مفهوم الانتحار

يلخص بعض الباحثين الصعوبات التي تواجه الباحث الذي يتصدى لتعريف «الانتحار» في عدة نقاط هي[١] .

تستخدم كلمة (انتحار) مع مجموعة متعددة من السلوكيات تشمل :

---

(١)ذياب البداينه ، «جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني ، في دراسة من وجهة نظر علم الاجتماع» مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد ٧ ، كلية الآداب ، الرياض ، ١٩٩٥، ص ٥٧٢ .

١ ـ محاولة الانتحارattempted suicide

٢ ـ الانتحار المكتمل completed suicide

٣ ـ التهديد بالانتحار threatened suicide

والتي تحمل جميعها فكرة السلوك التدميري ، وقد تحمل أو لا تحمل تنفيذ السلوك الانتحاري .

ـ يوجد غموض في جوانب توقيت تصنيف السلوك الانتحاري، حيث إنَّ غالبية التشخصيات للسلوك الانتحاري تتم بعد محاولة الانتحار أو بعد الانتهاء من الانتحار (وقوع الانتحار فعلاً)، ومن هنا يرى البعض أنَّ المشكلة الأساسية في تعريف الانتحار هي أنّه يحدد بعد إتمام الفعل ووقوعهPotshot[١] .

ـ قد لا يوصف الفعل على أنَّه انتحار لا لشيء إلا لتجنب عمليات الوصم الاجتماعي .

ـ قد يصنف الفعل على أنه انتحار للتغطية على الجرائم المرتبطة بالجنس (جرائم الشرف والاغتصاب وهتك العرض)، خاصة في المجتمعات التي تقيم ثقافتها وزناً كبيراً لمثل تلك الأمور .

ـ إنَّ كلمة (انتحار) تعدّ كلمة حديثة الاستخدام نسبياً حيث إنّها استعملت لأول مرة في عام ١٦٥١م وإنْ كان الانتحار كفعل إنساني قديم قدم الإنسانية ذاتها[٢] .

---

(1)L.P.Milman and L.Krarner A psychological Approach to Abnormal behavior Englewood cliffs, NJ.,Prentice-Hall.1975)P,:576

(٢) ذياب البداينة، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧١ .

والجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ مصطلح «الانتحار» غالباً ما يأخذ مفاهيم مجازية واستعارات لفظية مختلفة ومتعددة، من ذلك مثلاً أنَّ الذي يغامر بنفسه ومصالحه في سبيل غاية خطيرة يقال عنه أنَّه أقدم على الانتحار، ما دعا البعض إلى إطلاق أوصاف معينة كالانتحار السياسي، والفكري، والتجاري، والفني، والرياضي... إلخ.

هذا ويميل بعض الباحثين المسلمين ـ بل ويصرون أحياناً ـ إلى استعمال مصطلح «قتل النفس» كمصطلح إسلامي أصيل كبديل لمصطلح «الانتحار» المحمل بدلالات ومضامين غربية، وذلك باعتبار أنَّ مصطلح «قتل النفس» ورد في القرآن والسنة وهما يمثلان المرجعية الأساسية للباحث المسلم، إلا أنَّ الملاحظ أيضاً تعدد وجهات النظر ومجالات تعريف «قتل النفس» كما هو الحال في تعدد محاولات تعريف الانتحار، وعلى الرغم من أننا نميل إلى استعمال مصطلح «قتل النفس» لما يتميز به من خصوصية تنسجم مع التصور الإسلامي الذي تنطلق منه الدراسة الراهنة، كما أنَّ ذلك يأتي استجابة لدعوات تأصيل مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية إسلامياً، إلا أنَّ الباحث يشير إلى أنَّ اهتمام البحث الراهن لن ينصب على تأصيل المفهوم إسلامياً وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين المصطلح الشائع (الانتحار) بقدر ما ينصب على تحديد المقصود بالعملية ذاتها التي يجسدها المصطلح في واقع الحياة وفيما يلي نعرض لتعريف «الانتحار» لغة واصطلاحاً، وبيان الاتجاهات المختلفة للتعريف الاصطلاحي للانتحار ونختتم بتحديد بعض المصطلحات ذات الصلة بموضوع الانتحار.

١ . ١ . ١ الانتحار لغة

يقصد بالانتحار لغوياً : عملية قتل الذات بذاتها، وهو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل caedere بمعنى « يقتل» والاسم (sui) بمعنى النفس أو الذات في الفرنسية suicide وكذلك الإنجليزية[١] .

وفي اللغة العربية تفيد كلمة «انتحار» معنى متماثلاً : فالكلمة مشتقة من الجذر (نحر) أي ذبح أو قتل ، وانتحر الشخص أي ذبح نفسه أو قتل ونحر البعير نحراً أي طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر[٢] . ويقال في اللغة تناحر القوم إذا تشاجروا لحد الهلاك وقد استعملت كلمة (بخع نفسه) في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ونصوص التاريخ الإسلامي مرادفة لكلمة (انتحار) وتعني هلك نفسه أو انتهت غماً[٣] . قال تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ** ... ﴿٦﴾ ﴾(سورة الكهف) .

١ . ١ . ٢ الانتحار اصطلاحاً

كما سبقت الإشارة إليه، فقد تعددت تعريفات الانتحار في الدراسات السوسيولوجية والنفسية لظاهرة الانتحار، كما تعددت مداخل الباحثين واتجاهاتهم في تحديدهم لتعريف الانتحار، ويمكن لنا أن نميز في هذا الصدد بين عدة اتجاهات بارزة على النحو التالي :

---

١) ناجي الجيوش، « الانتحار دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري»، مؤسسة الشبيبة للأعلام والنشر، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣ .

(٢) ابن منظور ، «لسان العرب» دار صادر، بيروت ، ج٥ ، د.ت ، ص ١٩٧.

(٣) صالح بن سعد اللحيدان، «ظاهرة الانتحار عند الشباب» ، مركز التوثيق والمعلومات، وزارة الشباب والطفولة، عدد ٥ ، ١٩٩٢م، ص ٤٠ .

ـ الاتجاه الأول

اتجه بعض الباحثين إلى وضع تعريف للانتحار من خلال تأكيدهم على عنصر المعرفة والإدراك للنتيجة الناشئة من فعل يؤدي إلى الموت، وهذا يعني أنَّ أصحاب هذا الاتجاه اشترطوا معرفة الشخص وإدراكه أنَّ الفعل الذي يقوم به إنما ينتهي به إلى الموت المحقق، ومن أمثلة التعريفات التي تنضوي تحت هذا الاتجاه، تعريف إميل دوركايم E. Durkheim[1]، وهو أول من تصدى لتحديد المفهوم، ويعرفه بأنه» هو كل حالات الموت التي تنتج بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن فعل إيجابي أو سلبي يقوم به الفرد بنفسه وهو يعرف أنَّ هذا الفعل يصل به إلى الموت»[2].

ولعلَّ تأكيد (دور كايم) في تعريفه للانتحار على عنصر المعرفة وإدراك النتيجة التي تحدد السلوك في المستوى الإنساني يشير إلى :

١ ـ تمييز الانتحار عن الموت الآلي في المستوى الحيواني من ناحية .

٢ ـ وينفي عن الانتحار سمة السلوك المرضي من ناحية أخرى، إلا أنَّ ما يؤخذ على هذا التعريف كما يشير (سمعان) هو أنَّه يخلط بين «الانتحار» وبين صور أخرى من الموت كالفداء والتضحية والاستشهاد دون التمييز بينها[3].

---

(١)إميل دور كايم Emile Durkheim(١٩١٧-١٨٥٨ م) فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي وأحد مؤسسي علم الاجتماع ومن أوائل الرواد الذين قاموا بإجراء دراسة علمية لظاهرة الانتحار في الغرب .

(2)Emile Durkheim, Suicide: (A study in sociology), translated by): A.spauling and George simpson ,(N.Y.Macmillan Publishing ,1950),.40

(٣)مكرم سمعان، « مشكلة الانتحار ، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري» القاهرة ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م ، ص.٤٥

ولعل هذا الخلط إنما يرجع إلى أنَّ (دور كايم) لا يأخذ بالقصد في الانتحار(النية) لأن هذا في رأيه يخرج أنواعاً أخرى من التدمير الذاتي وإن اختلفت في مظهرها مع ما يطلق عليه (انتحار) فإنها تتحد معه تماماً .

وعلى النقيض من ذلك نجد من يعرّف الانتحار مؤكداً على المعرفة والإدراك والقصد معاً حيث يعرّفه البعض على أنَّه » إجراء مقصود وإرادي بقتل الشخص لنفسه أو تدمير ذاته«[1] .

ومن الملاحظ أنَّ معظم التعريفات التي قدمت لمصطلح الانتحار تلتقي مع ما ذهب إليه دور كايم من حيث تعين المعرفة وقتل النفس واختيار الطريق .

ومن نماذج هذا الاتجاه أيضاً تعريف : »شارل بلونول» للانتحار بأنَّه : الفعل الذي يصدر عن إنسان يفضل الموت عن وعي ورغم قدرته على اختيار الحياة دونما ضرورة أخلاقية[2] . ومن الواضح أنَّ هذا التعريف يتأثر بتعريف »دور كايم» في تأكيده لعنصر المعرفة والإدراك والقدرة على الاختيار الواعي بين الحياة والموت . وهو أيضاً يخرج الانتحار من فئة السلوك المرضي .

١ ـ تعريف هلين اكس

« الانتحار هو حالة الموت الناتج عن فعل يأتيه الضحية بنفسه بقصد قتل نفسه وليس التضحية بها لشيء آخر ، أي هو موت إرادي يقدم عليه

---

(١) أحمد شفيق السكري، «قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية»، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٢١ .

(٢) راجع كلاً من :
ـ مكرم سمعان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦ .
ـ ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .

الفرد للخلاص من مشاكله وصعوباته غير المحتملة التي نشأت من حياته في الجماعة ويقوم بنفسه باختيار الوسيلة التي تحقق له انتحاراً تاماً »[١] .

وهو تعريف ـ على النقيض من تعريف دور كايم- يميز بين السلوك الانتحاري وبين أشكال الموت الاجتماعي الإجباري وأهمها التضحية[٢] . وفي ذات السياق يأتي تعريف (اسيكرول) وهو من التعريفات التي أكدت على عزل السلوك الانتحاري عن أفعال التضحية sacrifice actions باختيار فردي أو تحت مجهر اجتماعي ، لأنَّ التضحية ليست سلوكاً مَرَضياً (كالانتحار) ولكنها موضع إعجاب[٣] .

٢ ـ تعريف شنايدمان Shneid man:

فعل شخص ينهي حياة الفرد ذاتياً وقصدياً يؤكد على أنَّ الانتحار ليس مرضاً disease ولكنه ظاهرة معقدة من السلوك الذي يستهدف تدمير الذاتself-destructive behavior[٤] .

كما يشير إلى أنَّ تعريف الانتحار يشمل رغبة الفرد الواعية بالموت وفعله أو أفعاله لتنفيذ هذه الرغبة .

ويلاحظ أنَّ هذا التعريف :

ـ القصدية في الفعل عكس ما يراه دور كايم .

ـ إنَّ الانتحار لا يعد مرضاً وبالتالي فالسلوك الانتحاري ليس سلوكاً مرضياً .

---

(١) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(٢) سيوضح في بيان مفصل نسبياً للتفرقة بين الانتحار والتضحية في هذا الفصل .

(٣) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(4)Shneidman, Death: Current perspectives (Palo Alts Calif: Mayfield Publishing company ,1980),416. E.S. Shneidman: (Suicide) in Edwin, S.

ـ عنصر الوعي والإدراك للنتيجة المترتبة على الفعل (الموت) ويشير (ميناورد) على أنَّ بعض علماء النفس المرضي يرفضون التمييز بين الانتحار السوي والانتحار المرضي ، ويرون أنهما مجرد نوعين من الموت الطوعي ، يقول (دوشة) : ليس بذي شأن يذكر أنَّ يكون الحافز أو الدافع العامل على الانتحار سوياً أو مرضياً شعورياً أو لا شعورياً فذلك كله عبارة عن أشكال خاصة تتسق في الإطار العام للانتحار ، وهذا يعني من وجهة نظره أنَّ الانتحار ليس مرضياً بالتعريف إلا أنَّ بعض أشكاله فقط تخضع للشروط المرضية التي لم تبعد السبب الوحيد على الرغم من أهميتها[1] .

ـ الاتجاه الثاني

يتجه بعض الباحثين إلى تبني المعنى اللغوي في تعريفهم للانتحار ، حيث عرفه (سمعان) بأنَّه كل فعل أو أفعال يقوم بها صاحبها لقتل نفسه بنفسه وقد تم له ذلك وانتهت حياته نتيجة هذه الأفعال[2] .

يتضح من هذا التعريف تأكيده على عنصر القصدية في الانتحار ، وتحقيق النتيجة المقصودة بالفعل (الموت)، ومن هنا يشترط هذا التعريف شرطين لابد من توافرهما في الفعل أو الأفعال أو السلوك التي يقوم بها الشخص ليصدق عليه مصطلح الانتحار وهما : القصد ، وتحقيق الموت فعلاً .

---

(١) ليون مينارد، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

(٢) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص٥٠ ؛ حسين على قايد، : «دراسات في الصحة النفسية» ، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ، ٢٠٠١م، ص ٦٩ .

وبمفهوم المخالفة لا يعد الفعل انتحاراً (طبقاً لهذا التعريف) إذا انتفى القصد، أو لم يتحقق الموت أو هما معاً .

وفي السياق نفسه يعرف (السكري) الانتحار بأنّه إجراء مقصود وإرادي بقتل الشخص لنفسه وتدمير ذاته[1] .

ـ الاتجاه الثالث

ويذهب أصحابه إلى التمييز بين نوعين من الانتحار في التعريف هما : الانتحار الحقيقي ، والانتحار النفسي، (أي الموت الجسدي الفعلي) .

فالانتحار الجسدي عرفه وليم الخولي (١٩٧٦م) بأنه قتل الإنسان لنفسه عمداً .

بينما يعرف الانتحار النفسي بأنّه نوع من الانتحار غير الصريح حيث يزهد البعض الحياة تماماً أو يبغضونها وتدفعهم عوامل اليأس إلى تحطيم أنفسهم فيصابون بحالات مرضية في ولقد عاب الباحثون على الزهد أنه خطر يتهدد الحياة بإضعافه الجسد والروح معاً وأنَّه (أي الزهد) يضاد آخر الأمر واجبات المرء نحو ذاته . ويقرر (سينارد) أنَّ الزهد يختلف اختلافاً جذرياً عن الانتحار من حيث مقصده العميق ، فالانتحار : هو أنْ يقتل المرء نفسه بوعيه وفي الزهد يرغب المرء بالسمو بنفسه روحياً حتى يولد لحياة جديدة يفقد فيها الجسد شيئاً من سيطرته الطاغية . والأمر في الزهد هو أمر الاستعاضة عن الأنا العاطفية المتعجرفة الأنانية بأنَّ الفضائل الأخلاقية

---

(١) أحمد شفيق السكري، «قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية»، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٥٢١.

والصوفية، ومن ثم فهو (مينارد) ينظر إلى الزهد باعتباره وسيلة تنقية ورقي روحي وليس غايةً في ذاته [١].

ويميز (اللحيدان) بين الانتحار المعنوي والذي يعني في نظره طمس شخصية الإنسان بحيث يصبح عاطلاً عن الإنتاجية الفعالة الصحيحة وعرضة للإصابة بالأمراض النفسية. والانتحار هو قتل النفس، إما عن طريق الحقن السمية أو التردي من مكان مرتفع أو ضرب النفس بالرصاص أو تعليق النفس بحبل ثم قتلها فجأة (شنق النفس) [٢].

ـ الاتجاه الرابع

ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى التوسع في تعريف الانتحار بحيث يمكن أنْ يشمل أنواعاً أخرى من السلوك المقاربة للانتحار. من أصحاب هذا الاتجاه يتميز تعريف كارل منجز ١٩٣٨م وهو يعرف الانتحار بأنه قتل الإنسان نفسه بالطريقة التي يختارها سواء كان الموت الناتج عاجلاً أو آجلاً[٣].

ونلاحظ أنَّ هذا التعريف، اهتم بالنص على اختيار الوسيلة التي يتم بها الانتحار لما لها من دلالة في التحليل النفسي.

إنَّه تعريف جامع ولكنه غير مانع يخلط بين الانتحار وبين أنواع أخرى من السلوك المقاربة له كالزهد والتنسك والتصوف والرهبنة عموماً فضلاً عن التضحية والاستشهاد، كما أنَّه يشمل صوراً من إدمان الخمر،

---

(١) ليون مينارد، «مرجع سبق ذكره»، ص ٨٥.
(٢) صالح بن سعد اللحيدان، «مرجع سبق ذكره، ص ٢.
(٣) ناجي الجيوش، «مرجع سبق ذكره»، ص ٢٤.

والأمراض النفسية والعقلية وقد أطلق عليها «منجز» مصطلح «الانتحار المزمن» cronic suicide[1].

ولا شك أنَّ هذا التعميم للتعريف يعد نقطة ضعف لما يتضمنه من الخلط الشديد بين مجموعة من الأفعال المتغايرة في دوافعها وغاياتها ووظيفتها النفسية والاجتماعية إلى حد بعيد.

ـ الاتجاه الخامس

ويرفض أصحابه النظر إلى الانتحار على أنَّه فعل أو حدث منفرد، وإنما يؤكدون أنه عملية دينامية معقدة.

ومن هذه التعريفات يبرز تعريف (بيك وآخرون Beck et al)، حيث أشاروا إلى أنَّ الانتحار ليس حدثاً منعزلاً بل هو عملية معقدة وأن السلوك الانتحاري يمكن تصوره باعتباره واقعاً على متصل لقوة كامنة تشمل:

(تصور الانتحار، ثم التأملات الانتحارية، يليها محاولة الانتحار وأخيراً إكمال هذه المحاولة الانتحارية[2]).

ويتفق بونر وريتش Bonner & Rich (١٩٨٧م) مع التعريف السابق، حيث عرفا السلوك الانتحاري بأنَّه: «عملية مركبة من مراحل مختلفة تبدأ بتصور الانتحار الكامن ويتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط ثم التخطيط للانتحار النشط وفي النهاية، تتراكم محاولات انتحار نشطة لدى الفرد وقد يتذبذب مركز الفرد في هذه العملية وفقاً لتأثير العمليات البيولوجية والنفسية والاجتماعية[3].

(١)مكرم سمعان، «مرجع سبق ذكره، ص ٤٦.
(٢)حسن على قايد، «مرجع سبق ذكره، ص ٦٩.
(٣)المرجع السابق نفسه، ص ٦٩.

ومن الواضح أنَّ هذا التوجه في التعريف للنظر إلى «الانتحار» لا على أنَّه مجرد حدث أو فعل منعزل بل يؤكد أن التعريف يتضمن ما يسبق الفعل ويمهد له من عمليات نفسية وعقلية، وفكرية تتمثل في التصور الكامن للانتحار الذي يمثل الطرف الأول للمتصل مروراً بالتأملات، ومحاولات بناء القناعة، ثم التخطيط. . والمحاولات إلى أنْ ينتهي الأمر إلى الفعل ذاته.

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أهميته بالنسبة للدراسات والبحوث والجهود التي تستهدف تقديم السياسات والخطط والبرامج الوقائية الفاعلة للحد من هذه المشكلة وتجنبها ، إلا أنَّ ما يؤخذ على أصحاب هذا الاتجاه هو عدم التمييز بين الانتحار والسلوك الانتحاري ، فالسلوك الانتحاري كما يرى (الجيوش) هو سلسلة أفعال سواء تم الانتحار أم لم يتم ويدخل في ذلك: التهديد بالانتحار، والشروع في الانتحار، ثم الانتحار كفعل أدى إلى الموت الفعلي(ونوع الموت وتحققه)، وهذا يعني أنَّ السلوك الانتحاري أشمل وأعم من الانتحار، وبتعبير متكافئ فكل انتحار هو سلوك انتحاري وليس كل سلوك انتحاري هو انتحار ، فإذا لم يخرج الأمر عن إطار المحاولة كان سلوكاً وإذا انتهت الحياة فعلاً كان انتحاراً[1].

١ . ٢ التمييز بين الانتحار والتضحية

ذكرنا فيما سبق كيف أنَّ البعض يخلط بين الانتحار والتضحية، كما هو الحال في تعريف (دور كايم) وغيره من الباحثين ، يقول (مينارد) أنَّ ما يمنع من قبول تعريف (دور كايم) يتمثل في آخر المطاف في أنه لا يتيح تمييز

(١)ناجي الجيوش ،«مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

فعل قتل المرء نفسه عن فعل التضحية بحياته [1]. وهو الأمر الذي دفع عالم الاجتماع (هلفاكس) إلى تصحيح نظرة دور كايم هذه وعرف الانتحار بأنّه:

«كل حالة موت ناجمة عن فعل يقوم به الضحية بنفسه عازماً على قتل نفسه أو متطلعاً إلى ذلك وهو غير فعل التضحية»[2]. ويؤكد (مينارد) على أنَّ المفارقة بين الانتحار والتضحية مفارقة ظاهرة والتناقض يزول إذا رفضنا توحيد الموقفين فمن البديهي قطعاً أنهما يستجيبان لمقصدي شعور متباعدين، فالانتحار ـ كما يراه ـ هو إرادة قتل الذات ومطلب الموت باعتباره وسيلة أو غاية بحركة خاصة مهما كان أصل هذا القرار وسببه المسوغ؛ أما التضحية فهي إرادة بلوغ غاية ودعم قضية والذود عن قيمة بالمجازفة بتعريض الحياة حتى الموت، وليس من قاسم مشترك بين تعريض الإنسان حياته، وبين هدمه حياته بإرادته [3].

ويزيد الأمر وضوحاً فيقول:

إنَّ إنسان التضحية لا يطلب الموت للموت؛ إنّه يقتصر على الرضا بالتعرض للخطر دفاعاً عن قضية يحبها ويضحى من أجلها. والتضحية وسيلة نافعة لخدمة القيم التي ارتبط بها ارتباطه بخبرات أثمن من الحياة ذاتها ما دامت الحياة بدونها تخسر كل شأن، ولكن لماذا كل هذا العناء والإصرار على التمييز بين الانتحار والتضحية؟ يجيب (مينارد) قائلاً: إنّ ذلك ينجم عنه نتائج ثلاث جلية كل الجلاء:

---

(١) ليون مينارد، «مرجع سبق ذكره»، ص ٧٣.
(٢) ليون مينارد، «مرجع سبق ذكره»، ص ٧٢.
(٣) ليون مينارد، «المرجع السابق»، ص ٧١.

١ ـ إنَّ إدانة الانتحار لا تقود البتة إلى إدانة التضحية .

٢ ـ إنَّ امتداح التضحية لا يقود البتة بالمقابل إلى امتداح الانتحار .

٣ ـ إنَّ احترام الحياة بدافع القيم يجعل الانتحار خطيئة كما يجعل التضحية عملاً مجيداً ويضفي عليها صلة الواجب عند الاقتضاء[١] .

ونخلص من المناقشة السابقة إلى أهمية التمييز بين الانتحار والتضحية باعتبار أنَّ أسباب التضحية هي أسباب أخلاقية في الأساس بينما أسباب الانتحار أسباب لا أخلاقية نوعياً ، ومن ثم يصبح التمييز بينهما ضرورة ملحة تماماً كالتمييز بين الخير والشر . إنَّ ما يحظى بإعجاب المجتمع واستحسانه هو التضحية وإنَّ ما يذمه المجتمع ويرفضه ويحظره بهذا الاعتبار هو الانتحار ، وإنَّ حظر الانتحار ومنعه ، وتفضيل التضحية وامتداحها إنما يصدران عن اعتبارات اجتماعية تفرضها القيم والمعايير والأخلاق ، فالمضحي غالباً ما يفلت من الضبط الاجتماعي .

وتأسيساً على العرض السابق للاتجاهات المتعددة في تعريف الانتحار ونماذج التعريفات التي ذكرناها لكل اتجاه يمكن أنَّ نخلص إلى :

١ ـ تباين وجهات النظر وتعددها وتغايرها في تحديد مصطلح الانتحار ففي حين يؤكد البعض أنَّ التعريف على عنصر المعرفة والإدراك الواعي ، يميل البعض إلى الأخذ بالتعريف اللغوي ، ويذهب آخرون إلى التفرقة والتمييز بين الانتحار الحقيقي (الجسدي) والانتحار النفسي ، بينما يميل فريق آخر إلى التوسع في التعريف

---

(١) ليون مينارد ، «المرجع السابق » ، ص ٧١ .

بحيث يمكن أن يشمل أنواعاً أخرى من السلوك قريبة الشبه بالانتحار في بعض جوانبه، وأخيراً رأينا أنَّ البعض يؤكد في التعريفات على أنَّ الانتحار عملية دينامية معقدة.

٢ ـ أهمية التمييز بين الانتحار وبين أنواع السلوك المدمر الأخرى في الدراسات والبحوث العلمية التي تتناول مشكلة الانتحار حيث يجب أنْ يدرس الانتحار في معزل عن أشكال التضحية المختلفة وأنواع التدبير الذاتية الأخرى المعروفة في أديان الجماعات البدائية وأعرافها[١].

٣ـ ضرورة التمييز بين الانتحار (تحقيق الموت) وبين السلوك الانتحاري الذي يشمل عمليات التهديد بالانتحار ، والمحاولة والتفكير والشروع والانتحار العقلي.

٤ ـ التأكيد على أنّه ليس ثمة محرض أو مساعدة للمنتحر في تنفيذ الانتحار، وأنَّ الأمر كان بيد المنتحر وحده وبإرادة خاصة (أي فعل الذات بالذات).

٥ ـ أن عنصر القصد والإرادة في الانتحار (القصد الانتحاري والنية الجرمية) هو عنصر مختلف فيه ، ففي بعض أشكال الانتحار لايكون المنتحر واعياً لنتيجة فعله المؤدية للموت وذلك بسبب بعض الأمراض النفسية والعقلية ، بينما في بعض الحالات يكون الانتحار نتيجة إرادة وتخطيط واعٍ وتصميم وهذا ما يسمى القصد[٢].

---

(١) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤.
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤.

١ . ٣ بعض المصطلحات المرتبطة بالانتحار

من خلال المناقشة السابقة لتعريفات الانتحار برزت عدة مصطلحات نرى أنَّ من الأهمية بمكان الإشارة إلى تحديدها على النحو التالي :

١ . ٣ . ١ الشروع في الانتحار

هو مصطلح قانوني في المقام الأول يقصد به اتخاذ التدابير لتنفيذ الفعل (الانتحار) دون بلوغ الموت، ومن ثم فالاتصال غير المنتهي بالموت هو (شروع) والفاعل (شارع في الفعل) أي خاض فيه شروعاً[١] .

ويعرف البعض الشروع في الانتحار بأنَّه«كل عمل يؤدي إلى أذى النفس ويقصد به الموت» ولا يشمل هذا التعريف أعمال التهديد بالموت أو تمثيله[٢] . ويرى البعض أنَّ الشارع غير جاد في قصده، ولذلك فإنه يستخدم أداة غير فعالة لا تحقق له موتاً عاجلا والشروع بالمعنى المشار إليه هو إحدى عمليات السلوك الانتحاري وليس انتحاراً ، ويرى (تابا شنيك) أنَّ الاعتقاد بأن الشروع انتحار غير تام أو انتحار فاشل هو اعتقاد فاسد، وتؤكد الدراسات أنَّ قلة قليلة ممن شرعوا في الانتحار ماتوا منتحرين، وأنَّ قلة نادرة ممن انتحروا سبق أن شرعوا في الانتحار[٣] .

ويرى (سينارد) أنَّ الشارع بالانتحار نادراً ما يقوم بمحاولته في معزل عن المجال الاجتماعي وإنما يأتي محاولته في مجال يجعل تدخل الآخرين

---

(١) مصطفى عبدالمجيد كاره، « مقدمة في الانحراف الاجتماعي» ، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٩٣ .

(٢) ناجي الجيوش، « مرجع سبق ذكره» ، ص ١٠٩ .

(٣) ليون مينارد، « مرجع سبق ذكره» ، ص ١١٠ .

ممكناً أو محتملاً (أي لإنقاذه) ، والشروع نمط سلوكي لا يمكن فهمه إلا في ضوء علاقته بالبيئة الإنسانية فهو :

ـ استغاثة بالبيئة الإنسانية ونداء لعونها .

ـ وللشروع غاية أخرى هي معاناة المحنة العلنية [١] .

وبرغم ما بين دوافع الانتحار والشروع فيه من تماثل تشير بعض الدراسات إلى التغاير الداخلي في المجموعة الانتحارية بين الانتحار والشروع فيه من حيث وظيفة كل سلوك ودلالته أو الغاية التي يستهدفها كل منهما :

١ . ٣ . ٢ المحاول الانتحارية (محاولة الانتحار)

مفهوم نظري عام يستخدم عندما تكون الإشارة عامة إلى الانتحار والشروع فيه ، وهذا يعني أنَّ مفهوم المحاولة ينسحب نظرياً على الانتحار الفعلي وعلى مجرد الشروع فقط على السواء[٢] .

١ . ٣ . ٣ التفكير في الانتحار : suicidal ideation

هو تفكير أو اعتزام جاد على الانتحار ، أو هو نماذج من التفكير التي تؤدي بالفرد إلى قتل نفسه [٣] .

هذا ويذكر المهنيون بعض الأسباب والظروف والإمارات التي تساعد في التعرف على احتمالية وجود هذا التفكير لدى الشخص وبالتالي احتمالية قيام الشخص أو العميل client بمحاولة الانتحار .

---

(١) ليون مينارد ، « مرجع سبق ذكره» ، ص ١١٢ .

(٢) مكرم سمعان ، « مرجع سبق ذكره» ، ص ٥٠ .

(٣) أحمد شفيق السكري ، «مرجع سبق ذكره» ، ص ٥١١ .

١ . ٣ . ٤ التهديد بالانتحار

مصطلح يشير إلى «العملية التي يميل فيها الأفراد إلى التلويح للآخرين برغبتهم وعزمهم على الإقدام على الانتحار، ويتميز هؤلاء غالباً بأنَّ النزعة الانتحارية عندهم لم تتعد المستوى اللفظي (الكلام والتهديد والتلويح)، وقد صنف هؤلاء إلى نوعين هما :

١ ـ أصحاب تهديدات خطيرة.

٢ ـ أصحاب تهديدات غير خطيرة[١].

ويشير (العفيفي) إلى أنَّ محاولات الانتحار يجب أنْ تؤخذ بكامل الحذر والحرص من المحيطين بالشخصية التي تهدد بالانتحار حيث تبين أنْ ٩٥٪ من المنتحرين يحاولون الانتحار عدة مرات قبل الإقدام على التنفيذ[٢].

هذا وتجدر الإشارة إلى أنَّ المهددين بالانتحار غالباً ما تسيطر عليهم سمات العداوة والهياج agitation ويبدو أنَّ اتصالهم بالواقع على قدر كبير من الضحالة[٣].

١ . ٣ . ٥ السلوك الانتحاري

يعرفه (سمعان) بأنَّه سلسلة الاتصال التي يقوم بها الفرد محاولاً تدمير حياته بنفسه دونما تحريض من آخر أو بغية لقيمة اجتماعية ما[٤].

والسلوك الانتحاري بهذا المعنى يدخل فيه الانتحار الفعلي، ومحاولات الانتحار والشروع في الانتحار، والأفكار الانتحارية والتهديد بالانتحار، بمعنى آخر يدخل فيه الفعل ذاته، ومقدماته ومحاولاته والشروع فيه.

---

(١) ناجي الجيوش، «مرجع سبق ذكره»، ص ١٠٥.

(٢) عبدالحكيم العفيفي، «الاكتئاب والانتحار، دراسة اجتماعية تحليلية»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م ص ٩٣.

(٣) ناجي الجيوش، «مرجع سبق ذكره»، ص ١٠٥.

(٤) مكرم سمعان، «مرجع سابق ذكره»، ص ٤٧.

وعلى ذلك فالسلوك الانتحاري هو سلسلة أفعال سواء تم الانتحار أم لم يتم ، وكما أسلفنا فالسلوك الانتحاري يمكن تصوره على هيئة متصل لقوة كامنة تشتمل تصور الانتحار، ثم التأملات الانتحارية، يليها محاولة الانتحار، وأخيراً إكمال محاولة الانتحار ووقوع الانتحار الفعلي.

وفي هذا الإطار، يعرفه البعض بأنَّه عملية مركبة من مراحل مختلفة تبدأ بتصور الانتحار الكامن وتتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط، ثم التخطيط للانتحار وفي النهاية تتراكم محاولات انتحار نشطة لدى الفرد وقد يتذبذب مركز الفرد في هذه العملية وفقاً لتأثير العمليات البيولوجية والنفسية والاجتماعية[1].

١ . ٣ . ٦ الانتحار الناجح والانتحار الفاشل

يحرص البعض من الدارسين على التمييز بين الانتحار الناجح والانتحار الفاشل، ففي الأول (الناجح) يكون الموت محققاً والتدمير الذاتي نهائياً ، حيث تتحقق رغبة الموت عبر سلوك محكم التنفيذ بينما في الانتحار الفاشل تكون رغبة الموت موجودة، إلا أنَّ السلوك الانتحاري غير محكم التنفيذ. لذلك لا ينتهي هؤلاء إلى الموت، إما لسرعة تدخل المحيط لإنقاذهم وإما لضعف التدبير لعملية الانتحار والفرق شاسع بين الحالين :

ففي الأولى القرار حاسم بإنهاء الحياة وهي أقرب أو توازي بالحدة والفعل الانتحار الناجح ولا تقل خطورة عنه. وفي الثانية : ليس الهدف الموت بل توجيه رسالة ابتزاز أو تهديد أو نداء استغاثة للآخرين[1].

---

(١) مكرم سمعان، «مرجع سبق ذكره» ، ص ٦٩ .

(٢) أحمد محمود عباس، «الانتحار ـ نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد» ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٦٧ ـ ٧٣ .

الفصل الثاني

الانتحار تصنيفاته وسمات مرتكبيه

٢ . الانتحار تصنيفاته وسمات مرتكبيه

تمهيـــد

سبق أنْ أشرنا إلى أنَّ الانتحار يشكل ظاهرةً[١] متعددة الأبعاد مختلفة الجوانب متباينة المفاهيم غير منفصلة عن غيرها من ظواهر الحياة الإنسانية، بل هي على ارتباط وثيق بها تؤثر فيها وتتأثر بها إلى أبعد الحدود، كما أنَّ قضية الانتحار في جوهرها تطرح مسائل شتى وذات أبعاد منبثقة اجتماعية، ونفسية، وطبية، وقانونية، وفلسفية، واقتصادية، وسياسية، ودينية، وأخلاقية، من حيث كونها ترتبط بجميع مجالات الحياة الإنسانية وجوانبها. ومن هنا كان من الطبيعي أن تستقطب ظاهرة الانتحار اهتمام العديد من الباحثين في التخصصات العلمية المختلفة، كالفلسفة، والطب، وعلم الاجتماع، وعلم النفس والقانون والسياسة والخدمة الاجتماعية.

وذكرنا أنَّ الاهتمام العلمي بمشكلة الانتحار وتراكم الجهود والدراسات العلمية التي عالجت جوانب متعددة من المشكلة أسفر مؤخراً عن مولد علم جديد ومستقل بذاته هو «علم الانتحار».

ويرجع هذا الاهتمام العلمي والفكري والبحث بظاهرة الانتحار إلى كونه يمثل مشكلة سلوكية على درجة كبيرة من الأهمية الاجتماعية والوطنية

---

(١) يحجم العديد من الباحثين عند وصف الانتحار بأنه ظاهرة ويرفضون هذا التوجه انطلاقاً من اعتبار أن الظاهرة سلوك إنساني يمارسه أو يرتكبه عامة الناس أو أغلبهم؛ أما أولئك الذين يستخدمون وصف «الظاهرة»، فإنهم يؤسسون توجههم هذا انطلاقاً من اعتقادهم بان الظاهرة لا تقاس بعدد الذين يمارسونها أو يرتكبونها بل هي بنسبة وقوعها وحدوثها من ناحية، واستمرارية حدوثها بلا انقطاع في التاريخ الاجتماعي من ناحية أخرى وهو ما ينطبق على الانتحار.

في المجتمعات الإنسانية كافة قديمها وحديثها، كبيرها وصغيرها ، غنيها وفقيرها، المتقدمة منها المتخلفة، مما كان له أثره الكبير في دفع الباحثين في مختلف العلوم الإنسانية والسلوكية إلى بذل الجهود العلمية من أجل دراسة هذه المشكلة ورصد تلك الظاهرة وطبيعتها، وحجمها، ودرجة انتشارها، وأبعادها المختلفة وعواملها وأسبابها وإنْ كان ذلك على مستوى الأفراد أو المجتمعات ومحاولة وضع تصورات علمية لمعالجة أسبابها النفسية والاجتماعية .

وعلى ذلك يكاد الانتحار يمثل »ميداناً مشتركاً للبحث العلمي بين مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، فلا يستأثر به علم دون آخر ولا تخصص علمي بعينه دون التخصصات العلمية الأخرى .

لقد تناول علماء الاجتماع قضية الانتحار كظاهرة اجتماعية وحاولوا تقديم تفسير علمي لتلك الظاهرة .

وفي مقدمة المحاولات العلمية الجادة التي تناولت ظاهرة الانتحار في إطار علم الاجتماع يأتي العمل الجاد الذي قام به أميل دوركايم، عالم الاجتماع الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، واعتبر دوركايم الانتحار« ظاهرة اجتماعية» تتباين وفق المجتمع الذي تحدث فيه ووفق المنطقة ومراحل المجتمع الواحد ووفق الجماعات المختلفة (متزوج، أعزب . . إلخ)، ووفق الدين[1] وحدد دوركايم ثلاثة أشكال من السلوك الانتحاري وفقاً للسبب الاجتماعي للانتحار وهي[2] :

(١) عبد الرحيم بن مشنى الغامدي وآخرون، الانتحار في المجتمع السعودي ، في الكتاب لمركز أبحاث مكافحة الجريمة ، وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية، العدد (٥) ، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٨ .

(٢) سيأتي الحديث بشيء من التفصيل عن مساهمة دوركايم في الجزء الخاص بنظريات الانتحار .

١ ـ الانتحار الأناني egoistic suicide.

٢ ـ الانتحار الغيري الإيثاري altruistic suicide.

٣ ـ الانتحار المعياري anomic suicide.

ومنذ ذلك الحين توالت الاهتمامات العلمية والإسهامات البحثية بظاهرة الانتحار من العديد من المتخصصين في علم الاجتماع العام وعلم اجتماع الجريمة (علم الإجرام)[1] وغيرهما من فروع علم الاجتماع، ولقد حاولت تلك الاسهامات تقديم تفسيرات علمية لظاهرة الانتحار وأسبابها وعواملها خاصة تلك المرتبطة بالظروف والأوضاع البيئية والاجتماعية والثقافية والحضارية.

أما فيما يتعلق بالدراسات والبحوث النفسية التي تناولت مشكلة الانتحار فلقد ركزت على تناولها من حيث كونها عملية Process نفسية انفعالية وجدانية، وإنْ مهدت لها وأعانت على حدوثها وبروزها الظروف والأوضاع البيئية والاجتماعية والثقافية.

تلك العملية التي تنشأ وتختمر وتنمو في السلوك الباطني للإنسان حتى تبلغ العملية ذروتها، ويكون السلوك نهايتها في فعل الانتحار ذاته، ومن المسببات المميزة للدراسات النفسية في هذا الصدد أنَّ أغلب المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي تناولوا الانتحار بوصفه عرضاً مرضياً أو نتيجة

---

(١) علم الإجرام criminology علم يعنى بدراسة أسباب الجريمة والعوامل الدافعة إلى الاجرام وتصنيف هذه الأسباب والعوامل، ومعرفة مبلغ قوة كل نوع منها بالنسبة للأخر، سواء كانت راجعة إلى أحوال المجرم العقلية والنفسية و ميوله ودوافعه الخاصة أم إلى ظروف المجتمع والعوامل التي تحيط به.
ـ انظر: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م، ص٩١.

ضرورية لبعض الاضطرابات النفسية والعقلية التي يعاني منها الإنسان الذي يقدم على وضع حد لوجوده وحياته.

والباحث في الذات العلمي لظاهرة الانتحار لن يجد صعوبة في الوصول إلى علم النفس والطب النفسي، إذ هما من أكثر التخصصات العلمية اهتماما بقضية الانتحار طبقاً لعدد البحوث والدراسات التي تناولت تلك المشكلة وتنتمي إلى هذين التخصصين، سواء تمت تلك الدراسات في المجتمعات الغربية أو المجتمعات العربية على مدار سنوات القرن العشرين حتى الآن.

هذا وتعد من الدراسات الرائدة لمشكلة الانتحار في العالم العلمي دراسة (مكرم سمعان) التي قام بها عام ١٩٥٩م ونشرت عام ١٩٦٤م وأجريت في مدينة القاهرة، وتضمنت إحصائيات بالغة الأهمية والإثارة وفق كل من الشروع في الانتحار أو وفق الانتحار ذاته، ومن الملاحظات الجديرة بالإشارة هنا أنَّ جميع الدراسات والبحوث التي تمت في البيئة العربية بعد ذلك اتخذت من دراسة (سمعان) أساسا لها تنطلق منه في تفسير الظاهرة ورصد أسبابها ومعالجتها المنهجية [١].

---

(١) نشير هنا إلى بعض تلك الدراسات التي تمت في العديد من الأقطار العربية منها:
- ممدوح الروبي، الانتحار بين المتعة والفلسفة والمعتقدات، دار الرشيد، دمشق ط١، ١٩٩٨م (سوريا).
- أحمد محمود عباس (لبنان)، مرجع سبق ذكره.
- عبدالحكيم العفيفي (مصر)، مرجع سبق ذكره.
- ذياب البداينة، (الأردن)، مرجع سبق ذكره.
- عبدالرحيم بن مشني الغامدي وآخرون (السعودية)، مرجع سبق ذكره.
- ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره.
- حمد المرزوقي، وشرف المالك، الانتحار في المملكة العربية السعودية أبعاده ومسبباته، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض (السعودية)، ١٤٠٥هـ.

لقد اهتمت الدراسات النفسية والاجتماعية ببحث ظاهرة الانتحار وأبعادها المختلفة وقدمت تفسيرات متباينة للظاهرة، الأمر الذي يرجع إلى طبيعة ظاهرة الانتحار ذاتها وتعقدها من ناحية ، والخلفية النظرية والإيديولوجية للباحثين من ناحية ثانية .

وعلى الرغم من الاهتمام الملحوظ من قبل الباحثين في التخصصات العلمية المختلفة بظاهرة الانتحار، إلا أنَّه يمكن القول إنّ مجال ظاهرة الانتحار ما زال يعتبر ميداناً هاماً يحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث التي تولي اهتمامها برصد الظاهرة، وحجمها، وأبعادها، وعواملها، وتقديم تفسير علمي واقعي لها مما يمكن أنْ يساعد صناع القرار وواضعي السياسات على التوصل إلى السياسات والتحفظ والبرامج الملائمة والفاعلة في التصدي لتلك الظاهرة والحد منها، واتخاذ الإجراءات الوقائية كافة من تزايد معدلاتها وخصوصاً في مجتمعاتنا العربية الإسلامية .

٢ . ١ أنواع الانتحار وأنماطه

تتعدد أنواع الانتحار وأنماطه بين البشر تبعاً للعديد من الاعتبارات والمعايير الأمر الذي دفع الباحثين والدارسين إلى تصنيف تلك الأنواع طبقاً للمعيار الذي اعتبره كل باحث أو دارس . . والواقع أنَّ الأساس في هذه المعايير إنما يدور حول :

١ ـ عدد القائمين بالانتحار ومدى الاتفاق بينهم .

٢ ـ الواقع الأساس للانتحار .

٣ ـ حالة المقدم على الانتحار الصحية والنفسية .

٤ ـ الهدف من الانتحار .

وفيما يلي نتناول بشيء من الإيجاز الأنواع المختلفة للانتحار طبقاً لكل معيار وأهم ما يتميز به .

٢ . ١ . ١ عدد القائمين بالانتحار ومدى الاتفاق بينهم

١ ـ الانتحار الفردي

قد يقدم الفرد على الانتحار بشكل فردي محضٍ، وبدوافع فردية بحتة دون أنْ يكون هناك اتفاق مع آخر أو آخرين، وهذا النوع يمثل غالبية أنواع الانتحار .

٢ ـ الانتحار الثنائي (اتفاق ثنائي على الانتحار)

ذلك النوع الذي يرتكز على الرغبة في الموت (الانتحار) مع شخص آخر أو بعد موته بزمن وجيز، وهو ثنائي غالباً ويكون المنتحران من أسرة واحدة أو حلقة اجتماعية واحدة في الغالب وتربطهما عواطف ووشائج متينة على مر السنين[١] .

٣ ـ الانتحار الجماعي

يمثل الانتحار الجماعي (انتحار مجموعة من الأفراد في الوقت نفسه) ظاهرة بشرية قديمة وبدائية[٢]، ويحدث كعدوى اجتماعية تنتقل من شخص إلى آخر بسرعة وبائية، ولذلك عده قسم من علماء أمراض النفس(هستيريا الجماعة) [٣] . ويتميز هذا النوع بأنَّه :

---

(١) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٩ .

(٢) يكثر هذا النوع من الانتحار في القبائل في المجتمعات البدائية التي تفتقد إلى السلم وإلى الرقي الحضاري، وإن كان هذا لا يمنع من حدوثه في المجتمعات المتحضرة والحديثة .

(٣) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٥ .

١ ـ مجموعة من الأشخاص تقدم على الانتحار (أكثر من اثنين).

٢ ـ يحدث في ظرف واحد وبدافع واحد غالباً .

٣ ـ غالباً ما يكون له رواسب عقائدية متطرفة .

وأصحاب هذه الحالات يتصفون بأنَّ لديهم شيئاً داخلياً مختلفاً وهدفاً واحداً هو الموت، ولديهم طقوس دينية وتحضيرات له، ويكون لديهم حالة هي أنَّ الرغبة في الموت بنفس الطريقة نفسها بالوقت نفسه ويتم هذا من خلال هيئات وجماعات تشكل ميثاقاً مع الموت .

وهناك ما يعرف الآن بالانتحار الجماعي عن طريق الانترنت، حيث يتواعد الشباب على شبكة الانترنت على أساس ميثاق يعقدونه فيما بينهم يتعاهدون فيه على الانتحار ثم يلتقون في المقابلة على الانتحار الجماعي .

٢ . ١ . ٢ حالات المقدمين على الانتحار

حيث ينقسم الانتحار طبقاً لذلك إلى :

١ ـ انتحار الأسوياء (الانتحار السوي)

ونعني بالأسوياء هنا أولئك المنتحرين من غير المصابين بأمراض نفسية أو عقلية أو عضوية، ولا نعني بهم ـ بطبيعة الحال ـ أنَّهم أسوياء في التفكير أو الاعتقاد أو السلوك .

وطبقاً لبعض الدراسات الميدانية، فإنَّ هذه الفئة تشكل ٢٪ من المنتحرين، ويكون الدافع للانتحار في صورة أفكار أو معتقدات أو عادات ويكون الفعل الانتحاري سلوكاً مختاراً ومقصوداً .

٢ ـ الانتحار المرضي

وأصحاب هذه الحالات يقبلون على الانتحار بتأثير اضطراب عقلي أو نفسي (ذهان أو عصاب)، وبالتالي فالسلوك الانتحاري لا يكون هنا مختاراً ومقصوداً وإنَّما تحت ضغط حالات نفسية وعقلية، كأن يسمع الشخص أصواتاً عليه وتريد منه الانتحار، ويشعر بأنَّه مطارد ويحاول الهروب بالانتحار.

٢ . ١ . ٣ تحقق الانتحار ووقوعه الفعلي من عدمه

ينقسم إلى:

١ ـ الانتحار الناجح: حيث يكون الموت محققاً والتدمير الذاتي نهائياً.

٢ ـ الانتحار الفاشل: حيث رغبة الموت والتخلص من الحياة موجودة إلا أنَّ السلوك الانتحاري غير محكم التنفيذ، لذلك لا ينتهي هؤلاء إلى الموت[١].

٢ . ١ . ٤ القصد والهدف

١ ـ الانتحار الأناني (انتحار الأثرة)

هو يخضع كما يدل عليه اسمه لأسباب شخصية خالصة، فالشخص المنتحر هنا يجد نفسه غريباً عن الاهتمام الاجتماعي، ولذا فإنَّه غير سوي ومن ثم لا أخلاقي، ولذا فإن الأخلاق الاجتماعية تدين هذا النوع من الانتحار.

---

(١) أحمد محمود عباس، الانتحار نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد، دار الفارابي، بيروت، ، ٢٠٠٣، ص ٧٣.

٢ ـ انتحار الإيثار (التضحية)[١]

ويستهدف الشخص هنا خير الجماعة ومصلحتها كما يتصورها وهو يخضع لدوافع متجردة جديرة بالمدح وهو ليس سوى دعم عميق لواجبات المرء نحو الجماعة، وإن اسمه الحقيقي هو التضحية. من أمثلة هذا النوع : أنَّ كبار المسنين في الأسكيمو يشعرون أنهم أصبحوا عالة على ذويهم ، ولم يعودوا قادرين على العمل والإنتاج والكسب، فيدفن المسن نفسه في الثلج ويظل هكذا حتى يموت وهدفه ألا يكون عالة أو عبئاً على أبنائه وذويه.

٢ . ١ . ٥ الشعور والإدراك

١ ـ الانتحار الشعوري

وهو الذي يدرك فيه المنتحر حقيقة فعله ويؤدي إلى وقوع هذا الفعل وتحققه.

٢ ـ الانتحار اللاشعوري (المقنع)

وهو لا يعد انتحاراً فعلياً في حقيقته وإنما هو من أفعال الفعل اللاشعوري الذي استطاع أنْ يجد حلولاً للانتحار بدون انتحار فعلي . وذلك بما لديه من قدرة على التفكير الرمزي من خلال الترميز، والتكثيف، والتشويه، والإبدال، والإسقاط، وغيرها من العمليات النفسية المعروفة.

ويندرج تحت هذا النوع أيضاً لون من ألوان الانتحار غير المقصود، وإنْ كان الفعل الانتحاري قد يقع ويتحقق، وذلك حين يكون قرار الانتحار نابعاً من تأثير الكحول (غياب العقل) أو جرعة كبيرة من المخدرات (جرعة زائدة).

---

(١) ليون نيارد، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧.

٢ . ١ . ٦ الانتحار الفلسفي

ويطلق عليه البعض (الانتحار الوجودي) لارتباطه الشديد بالفلسفة الوجودية في بعض مدارسها، خاصة الذين يعتنقون الفكر الوجودي المتطرف حيث يعدّ قرار الانتحار شجاعةً وسلوكاً شريفاً ومتقبلاً من الشخص حيث قرر الانسحاب في اللحظة التي شعر فيها أنَّه غير قادر على العطاء.

ومعروف أنَّ الفكر الوجودي يعلي من قيمة الإنسان واختياره ومسؤليته بالدرجة التي تجعله مسؤولاً عن كل شيء في حياته مسؤولية مطلقة. وأن عليه أنْ يحقق ذاته ويطلق إمكاناته كما يريد؛ وإذا عجز عن ذلك فعليه أنْ يختار توقيت إنهاء حياته بالطريقة التي يريدها.

٢ . ١ . ٧ انتحار الأطفال

وخاصة حالات الانتحار التي تقع في الفئات العمرية دون ١٥ سنة، وهي حالات نادرة وتكون عفوية ولا يوجد فيها تخطيط أو تعميم لتأثر الطفل بالخيال حينما يرى أفلاماً أو يقرأ قصصاً خيالية تشجعه على ذلك، أو يكون انتحاراً تقليدياً حين يتوحد الطفل أو يتعاطف مع المنتحر في الفيلم أو القصة.

ولقد اعتنى بعض الباحثين بتصنيف فئات المنتحرين (شخصياتهم) ومدى توافر القصد من الانتحار (النية الانتحارية)، ومن أمثلة تلك الدراسات ما قام به إدوين شندمان : Edwin Schneidman ونورمان فاربوا Norman.Farborow وهما من علماء النفس في مدينة لوس أنجلوس.

تركزت أبحاثها على ملاحظة أنَّ شخصية المنتحرين يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات :

١ ـ أولئك الذين يرتكبون الانتحار حتى إذا كانوا يريدون الحياة، إذ إنهم قد يخطئون التقدير في عنصر أو متغير عام . وقد قدر عالما النفس المشار إليهما أن ٥٠٪ من المنتحرين يدخلون في هذه الفئة .

٢ ـ أولئك الذين يرتكبون الانتحار بدون معرفة ما إذا كانوا يريدون أنْ يحيوا أم لا، ويشكلون نحو ٤٤٪ من كل المنتحرين طبقاً للنتائج التي توصلوا إليها .

٣ ـ هؤلاء بالفعل الذين يريدون أنْ يموتوا (القصد والرغبة في الموت المحقق) وتشكل هذه الفئة ٦٪ فقط من إجمالي حالات الانتحار في أمريكا طبقاً للدراسة[١] .

ولقد كثر النقاش حول تلك الظاهرة في السنوات الأخيرة لتزايد وتيرتها، وتنوع أحداثها وأساليبها، وأماكن وقوعها على مستوى العالم، وأضحت العمليات الاستشهادية محور خلاف فكري وإعلامي وديني (فقهي) في العالم الإسلامي وخارجه .

---

(١) عبدالحكيم العفيفي، الاكتئاب والانتحار ، دراسة اجتماعية تحليلية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م ، ص ٩٢ .

٢ . ٢ الانتحار تصنيفاته وسمات مرتكبيه

٢ . ٢ . ١ علامات التوجه الانتحاري

هناك حقيقة واضحة أكدتها وأجمعت عليها أدبيات الانتحار كافة تتمثل في أنَّه ليس من السهل أبداً اكتشاف العلامات الدالة على الانتحار، أي العلامات والدلائل والظواهر السلوكية التي إذا ما توافرت في شخص ما أمكن القول بأنَّ هذا الشخص لديه ميول انتحارية أو يمكن أنْ يقدم على الانتحار، وكان لهذه الحقيقة أثرها في أنَّ جهود الوقاية ومنع وقوع الانتحار كثيراً ما تواجه بالفشل والعجز عن تحقيق تلك الغاية.

إلا أنَّ هذه الحقيقة لم تثن عزم العلماء والباحثين عن محاولة البحث والتنقيب عن تلك العلامات الإنذارية ومحاولة رصدها وتسليط الأضواء عليها، ويشير (بكري) إلى أنَّه تبين أنَّ في ٧٠٪ من حالات الانتحار كانت توجد علامات إنذار، ولكنّ أحداً لم ينتبه إليها أو لم يدرك مدى خطورتها وما تشير إليه، كما يؤكد أنَّ هناك فترة حضانة لفكرة الانتحار قد تبلغ ثلاثة شهور أو أكثر[١].

وبناء على دراسات عديدة أجريت تم وضع علامات للخطر مرتبة حسب أهميتها على النحو التالي:

١ ـ السن: كلما زاد السن عن ٤٥ سنة كان ذلك مصدر خطر.

٢ ـ تعاطي الكحول: حيث تزيد حالات الانتحار في متعاطي الكحول ٥٠ مرة عن عموم الناس.

---

(1)Abdulershid A. Bekry ; Trends in Suicide, Parasuicide and a ccidental poisoning in Addis Ababa, Ethiopia. From the internet ,file: A:1 original %20 article.htm.

٣ ـ الاستثارة والغضب والعنف .

٤ ـ محاولات انتحارية سابقة خاصة إذا استخدمت فيها وسائل شديدة الخطورة كالأسلحة النارية أو السقوط من أعلى أو الشنق .

٥ ـ الذكورة، حيث تشير الدراسات إلى أنَّ الرجال أكثر إقداماً على الانتحار من النساء .

٦ ـ رفض المساعدة .

٧ ـ استمرار مدة نوبة الاكتئاب أكثر من المعتاد .

٨ ـ تاريخ سابق عن عزل في مصحة نفسية .

٩ ـ فقد شيء عزيز غالٍ، أو الافتراق عن شخص عزيز في الفترة الأخيرة .

١٠ ـ الاكتئاب خاصة نوبات الاكتئاب الجسيم .

١١ ـ فقد الصحة الجسمانية .

١٢ ـ عدم وجود عمل أو الإحالة للمعاش .

١٣ ـ شخص أعزب أو أرمل أو مطلق .

هؤلاء الأشخاص لابد من أنَّ ننتبه إليهم وتدريسهم وتتخذ الخطوات الكفيلة بمساعدتهم .

وتشير الدراسات إلى أنَّ العوامل المرضية الأشد خطورة هي :

أ ـ الإحساس بفقدان الأمل hopelessness

ب ـ الإحساس لقلة الحيلة helplessness

ويشير (السكري) إلى أنَّ المهنيين يلفتون الانتباه إلى بعض الأسباب والظروف والعوامل التي تساعد على التعرف على احتمالية قيام شخص ما

أو عميل ما بمحاولة الانتحار، ومن بين هذه الأسباب والعلامات ذات الاحتمالات القوية[1]:

١ ـ الاكتئاب خاصة إذا كان مصحوباً باليأس مع عدم الارتباط بآخرين في الماضي أو الحاضر.

٢ ـ تغييرات أساسية في نماذج النوم.

٣ـ وجود عبارات واضحة بالتعبير عن الرغبة في الموت أو عبارات تتضمن الرغبة في الموت أو التصميم على الانتحار.

٤ ـ المعاناة الحديثة من فقدان شيء يتعذر الاستغناء عنه .

٥ ـ غياب النسق المساند.

٦ ـ سهولة الوصول إلى وسائل الموت (مثل الأسلحة النارية، العقاقير القاتلة. . . إلخ).

٧ـ محاولات سابقة لقتل النفس.

٨ ـ الشعور بالفشل من الرفض والنبذ.

وطبقاً لـ: (أرنست . بير Ernst G.Beier) و (ايفانز فالنز Evans Valens)، فإن بعض مرتكبي الانتحار يستخدمونه كوسيلة اتصال مع الذات ومع الآخرين وهم مهيأون للانتحار إذا ما ظهرت عدة شروط مجتمعة، وهي[2]:

١ ـ غالباً، ولكن ليس دائماً ما يكون هناك محاولات سابقة للانتحار.

٢ ـ يوجد موقف متأزم في الحياة مثل فقدان شخص محبوب، أو الانفصال عنه وهذا الموقف قد يسبق محاولة الانتحار بحوالي عام كامل.

---

(١) أحمد شفيق السكري، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢١.
(٢) عبدالحكيم العفيفي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤.

٣ ـ استخدام المنتحر أسلوب إشعار الآخرين بالذات، لمعاقبتهم.

٤ ـ إنَّ المنتحر لديه الميل للتقلبات المزاجية السريعة .

٥ ـ ظهور أسلوب وطريقة مرضية وجاهزة لكي ينفذ الانتحار.

ورغم تأكيدنا على أنَّ الفعل الانتحاري (السلوك الانتحاري) هو سلوك في غاية التعقيد بحيث يصعب التنبؤ به (بشكل حاسم ودقيق) ومن ثم التدخل لمنعه، وقطع الطريق عن بلوغ غايته، إلا أننا لا نستطيع أنْ نغفل ما توصلت إليه بعض الدراسات من أنَّ هناك العديد من العلامات التي تشكل ناقوس خطر وإنذار، من حيث كونها تشير لتوجه انتحاري محتمل لدى من تتوافر فيهم تلك العلامات. وتأسيساً على ما سبق يمكن أنْ نوجز تلك العلامات فيما يلي :

١ ـ العلامات المباشرة في الكلام

ونعني بذلك أولئك الأشخاص الذين يعبرون في كلامهم عن هواجس سوداوية، أو عبثية، أو عدمية، أو فلسفية، أو دينية غريبة مفضلين الموت على الاستمرار في الحياة، من قبيل عبارات مثل : يجب أنَّ انتهي، الحياة لا تساوي شيئاً . . . إلخ.

٢ ـ العلامات غير المباشرة في الكلام

حيث يعبر بعض الأشخاص عن نياتهم بطريقة غير مباشرة مفضلين الانتحار في الحديث عن الموت كقولهم مثلاً: ستكونون في حال أفضل من دوني، أو ماعدت أصلح لشيء. . إلخ .

٣ ـ العلامات الظاهرة في السلوك

كالعزلة، والانطواء الواضح على الذات، والانسحاب الاجتماعي، والابتعاد عن الناس، مضافاً إليه التوقع على الذات والتهرب من الزائرين، وثمة علامات سلوكية أخرى لها أهميتها في هذا الصدد تتمثل في :

أ ـ علامات الحزن الظاهرة على الوجه.

ب ـ قلة الكلام ، والشرود المستمر.

جـ ـ الإسراف في تناول الكحول والعقاقير والمخدرات.

د ـ الاستماع المفرط للأحاديث الدينية التي تدور حول الموت والقبر والآخرة.

٤ ـ العلامات التي تظهر في الإنتاج الفكري والأدبي والفني

وثمة من يرى أنَّ هناك العديد من العوامل المصاحبة أو المؤثرة في حالات الانتحار، تشير إلى بعض الخصائص والسمات التي تبين أنواعاً تميز حالات الانتحار أو الشروع فيه على النحو التالي :

١ ـ عامل السن : حيث تبين أنَّ الأصغر سناً أكثر تهديداً بالانتحار لكن الأكبر سناً أكثر تنفيذا للانتحار.

٢ ـ الجنس(النوع)، فالنساء أكثر تهديداً بالانتحار، بينما الرجال أكثر تنفيذاً له، كما أنَّ المنتحرين من الرجال ضعف المنتحرات من النساء.

٣ ـ الحالة الاجتماعية : حيث إنَّ المتزوجين أقل انتحارا من غير المتزوجين.

٤ ـ التدين : فإن الانتحار يكون دائماً بين فئات المتدينين أقل ما هو بين

غير المتدينين ، وأنَّ معدلات الانتحار أقل في المسلمين واليهود والكاثوليك مقارنة بمعدلاته بين البروتستانت .

٥ ـ العرق(السلالة) : فالبيض أكثر انتحاراً من السود ، كما أنَّ معدلات الانتحار تكون أقل بين الأقليات والمجموعات العرقية المترابطة بينما تكون أكثر لدى المهاجرين

٦ ـ الوظيفة : أعلى نسبة للانتحار توجد بين المهنيين وعلى رأسهم الأطباء البشريون وأطباء الأسنان، والموسقيون والضباط والعاملون في تنفيذ الأحكام، والعاملون في شركات التأمين. هذا وتزيد معدلات الانتحار بين العاطلين عن العمل .

٧ ـ المستوى الاجتماعي : تزداد معدلات الانتحار في المستويات الاجتماعية الأعلى، وفي المدن(الحضر) أكثر من القرى (الريف) .

٨ ـ الحالة الصحية النفسية : المرض النفسي أقوى الدوافع نحو الانتحار، حيث تزيد خطورة الانتحار في المرضى النفسيين من ٣ـ١٢ مرة بالمقارنة بعموم الناس[١] .

أ ـ نسبة الانتحار بين مرضى الاكتئاب من ١٥ ـ ١٨ , ٩٪، وأخطر الحالات النفسية من ناحية القابلية للانتحار هي نوبات الاكتئاب الجسيم .

ب ـ مرض الانفصام (الشيزوفرينيا) نسبة الانتحار بينهم ١٠٪ وتوجد أعراض اكتئابية في ثلثي مرضى الانفصام المنتحرين[٢] .

---

(١) راجع كلا من : ذياب البداينة، جريمة قتل النفس في المجتمع الاردني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ٧ ، العدد ٢ ، ١٩٩٥م، ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره .

(2) Caldwell, C. and Gottesman, I. Schizophrenics kill themselves too: a review of risk factors for suicide. Schizophrenia Bulletin, 1990 16: 571-589.

جـ- إن الأمراض النفسية توجد في أكثر من ٧١٪ من كبار السن الذين ارتكبوا الانتحار[١] . كما وجد في دراسة في السويد عام ١٩٩٥ أن ٦٠٪ من الذكور و ٤٤٪ من الإناث الذين حاولوا الانتحار كانوا يعانون من الاكتئاب[٢] .

٩- استخدام الحكول والمخدرات : نسبة الانتحار بين مدمني المخدرات والمواد الأخرى بلغت ٢٥ إلى ٥٥٪ حيث ساهمت المخدرات والكحول في زيادة معدل الانتحار[٣] .

١٠- الاضطرابات الشخصية : في حالات الاضطرابات الشخصية تتفاوت معدلات الانتحار حسب نوع اضطراب الشخصية ولكنها في مجملها أعلى من عموم الناس . حيث أشارت الدراسات الحديثة إلى أن اضطرابات الشخصية عامل رئيس في الإقدام على الانتحار[٤] .

---

(1)Apter, A. and Freudenstein, O.; Adolescent Suicidal Behaviour: psychiatric Populations. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 261-273.

(2) Harwood, D. and Jaco by, R; Suicidal behaviour among the elderly. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 261-273.

(3) Murphy, G.; Psychiatric aspects of Suicide behaviour: Substance Abuse. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 135-146.

(4) Linehan, M., Rizvi, S. Welch, S. and Page, B.; Psychiatric aspects of Suicide behaviour: Personality disorders. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 147-178.

١١ ـ الحالة الصحية الجسمية : المرضى المزمنون والمصابون بأمراض مستعصية كالإيدز والسرطان وغيرهما أكثر عرضة للانتحار من غيرهم . حيث وجد أن الأمراض الجسمية من أكثر الأحداث التي تسبق الانتحار خاصة بين كبار السن[١] . كما أثبتت الدراسات قوة العلاقة بين الأمراض العصبية وزيادة خطورة الإنتحار . كما وجد في هذه الدراسات أن من بين الذين حاولوا الانتحار ٢٧ ـ ٥٠٪ لديهم أمراض جسمية ، ٢٢٪ منهم لديهم أمراض عصبية و ١٥٪ لديهم أمراض في القلب[٢] .

١٢ ـ محاولات الانتحار السابقة : وتعدَّ أفضل مؤشر لمعرفة مدى خطورة الحالة ، كما أنَّ دراسة المحاولات السابقة للانتحار تعطينا دلالة على :

أ ـ نية الشخص في أنْ يموت وعزمه وإصراره على الموت .

ب ـ جدية المحاولات وتشير بعض نتائج الدراسات العلمية إلى أنَّ ٤٠٪ من المكلفين الذين انتحروا كانت لهم محاولة سابقة للانتحار ، وإن ١٠٪ ممن قاموا بمحاولات انتحار قد انتحروا فعلاً في خلال السنوات العشر التالية للمحاولة .

١٣ ـ الطقس : لا يوجد موسم معين خاص بالانتحار ، ولوحظت زيادة بسيطة في معدلات الانتحار في الربيع والخريف .

---

(1) Harwood, D. and Jaco by, R; Suicidal behaviour among the elderly. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 261-273.

(2) Stenager, E. and Stenager, E. (2000) Physical illness and suicidal behaviour. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000, pp: 147-178.

هذا ويتميز المنتحر في الغالب ببعض السمات النفسية والاجتماعية من قبيل :

أ ـ لديه خلل على صعيد الأنا ، فهو لا يستطيع أن يبلور طاقاته الدفاعية كي يتعامل مع الناس ومع واقعه .

ب ـ الشعور بالنقص والخسارة ، وهو شعور يمكن أن يكون واقعياً أو خيالياً .

جـ ـ عدم القدرة على تخطي ظروفه .

د ـ الطبيعة النرجسية .

هـ ـ لديه ضعف في الصور الخيالية حيث تتميز الصحة النفسية بأنها تنفس طاقات وضغوط معينة عن طريق الخيال والمنتحر في الغالب يكون لديه ضمورٌ وعدم قدرة على التنفيس وضعف الطاقة التخيلية .

و ـ العنف على الذات ويكون نابعاً من كبت كما أنَّ لديه صعوبة في التعبير .

ز ـ ضعف الثقة بالنفس ويكون دائماً بحاجة إلى امتداح الآخرين وطمأنتهم له .

حـ ـ ذو شخصية تتميز باللامسؤولية ويبدو كأنه مراهق أبداً لا يمتلك الاستقرار العاطفي والنفسي .

ط ـ يفتقد القدرة على التأقلم مع المحيط والظروف والأوضاع المختلفة .

ي ـ يمكن اعتباره فاقداً لمادة الاستمرارية وعاجزاً عن رؤية الحلول لمشكلاته ، مع العلم بانَّ الحل موجود دائماً ولكنه وصل إلى درجة لا يرى غير الانتحار حلاً مناسباً[1] .

---

(١) راجع كلا من : ذياب البداينة ، جريمة قتل النفس في المجتمع الاردني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، المجلد ٧ ، العدد ٢ ، ١٩٩٥م ، ناجي الجيوش ، مرجع سبق ذكره ، مكرم سمعان ، مرجع سبق ذكره .

الفصل الثالث

ظاهرة الانتحار حجمها
ومدى انتشارها عالمياً ومحلياً

٣ . ظاهرة الانتحار حجمها ومدى انتشارها عالمياً ومحلياً

تمهيـــد

تؤكد الدراسات الاجتماعية حول ظاهرة الانتحار ـ رغم تباين المجتمعات التي درست فيها تلك الظاهرة ـ أنَّ نسب حوادث الانتحار، سواء حالات الشروع في الانتحار أو حالات الانتحار الفعلي آخذة في التزايد والارتفاع عبر الزمن، مع تباين النسب في المجتمعات المختلفة (من مجتمع لآخر ومن منطقة لأخرى داخل المجتمع الواحد)، ومن زمن لآخر طبقاً لما أشار إليه (أميل دوركايم) في دراسته عن الانتحار من أنَّ معدل الانتحار يختلف من مجتمع لآخر، وفي المجتمع نفسه مع اختلاف الزمن (باختلاف البعد الزماني والمكاني).

كما أنَّ الإحصاءات الجنائية أو الحيوية في معظم دول العالم تشير إلى أنَّ الإقبال على الانتحار يكثر تكراره وتزداد نسبته مع تقدم الزمن مرتبطاً بانتشار التصنيع والتحضر الزائد ومصاحبا ما هو ملحوظ من تعقد في الحياة، وتشابك في المصالح وآلية في العلاقات الاجتماعية ، وتفكك في كثير من الجماعات في العصور الحديثة بوجه خاص[١] .

لقد قدرت منظمة الصحة العالمية World Health Organization (WHO) أنّه في عام ٢٠٠٠م انتحر ما يقارب مليون شخص، ووصل معدل الانتحار على المستوى العالمي نحو ١٦ حالة لكل ١٠٠ ألف، مما يعني أنَّ هناك حالة

---

(١)مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره ص ٢٧ .

وفاة عن طريق الانتحار كل ٤٠ ثانية[١]. هذا عن حالات الانتحار الفعلية والتي انتهت بالموت المحقق؛ أما فيما يتعلق بحالات الشروع في الانتحار (أو محاولات الانتحار)، فتؤكد الإحصاءات (هيئة الصحة العالمية) أنَّ كوكب الأرض يشهد يومياً، وعلى مدار ساعات الليل والنهار، ثمانية آلاف محاولة انتحار، وأن ١٠٠٠ محاولة انتحار من تلك المحاولات تكلل بالنجاح[٢].

هذا وتعكس جميع الدراسات والإحصاءات الرسمية على المستوى العالمي اتجاهات مفزعة في تزايد ظاهرة الانتحار وتنامي معدلاتها بشكل مطرد في المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء.

ويمكن لنا أنْ نشير هنا باقتضاب إلى بعض المؤشرات والدلالات التي تبرزها تلك الدراسات والإحصاءات على صعيد حجم ظاهرة الانتحار وانتشارها وأبعادها على النحو التالي:

تتباين المجتمعات الإنسانية المختلفة في معدلات الانتحار تبايناً كبيراً حيث تحتل الدول الصناعية المتقدمة الأرقام الأعلى في معدلات الانتحار مقارنة بالمجتمعات النامية المتخلفة، كما أنَّ المجتمعات الإسلامية هي الأقل في معدلات الانتحار مقارنة بغيرها من الدول النامية[٣].

---

(١)سلطان بن محمد الحسين وصالح بن علي الغامدي، الانتحار أسبابه والوقاية منه، ط ١ ، شركة مطابع نجد التجارية ، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٥.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥.

(3)Marshall B.Clinard & Robert F. Meier, Sociology of Deviant Behavior, (Harcout Brace Jovanovich college Publishers, Fort worth and Philadelphia, 1992.

زاد معدل الانتحار في نصف القرن الماضي بنسبة ٦٠٪ على المستوى العالمي ، ويعد الانتحار الآن بين الأسباب الثلاثة الأولى المؤدية إلى الموت في الفئات العمرية ما بين ١٥-٤٤ سنة من الجنسين[١] .

في كثير من الدول الغربية تعد نسبة أولئك الذين يفقدون حياتهم بسبب الانتحار أعلى من نسبة الذين يموتون عن طريق حوادث السيارات .

تزايدت بشكل كبير معدلات الانتحار لدى فئة المراهقين والراشدين في العقد الأخير من القرن العشرين سواء على المستوى العالمي أو المحلي ، ويشير رود Rudd (١٩٨٩م) إلى أنَّ معدلات الانتحار بين أولئك الذين ينتمون إلى المرحلة العمرية بين ١٥-٢٤ سنة قد تضاعفت إلى ثلاث مرات في العشرين عاماً الأخيرة من القرن العشرين[٢] .

تشهد أوروبا الشرقية أعلى معدلات للانتحار بينما تشهد دول أمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا أدنى معدل له[٣] .

١ . ٣ إحصاءات الانتحار

ورغم ما تشير إليه الأرقام والإحصاءات المعتمدة والمنشورة والمتداولة حول ظاهرة الانتحار على المستوى العالمي والمحلى ، إلا أنَّ هناك ملاحظة جديرة بالتسجيل والانتباه كشفت عنها العديد من الدراسات العلمية التي أجريت في العديد من المجتمعات مفادها أنَّ تلك الأرقام والإحصاءات والنسب المعلنة لا تعبر تعبيراً صادقاً ودقيقاً عن الشكل والحجم الحقيقيين

---

(١) سليمان بن محمد الحسين و صالح بن علي الغامدي مرجع سبق ذكره ص ٧ .
(٢) حسن على فايد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٣ .
(٣) أحمد محمود عباس ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٦ .

للمشكلة وأنَّها دون الرقم الحقيقي بكثير وتشكل الحد الأدنى أو أنَّ الأرقام الحقيقية لحجم الظاهرة ربما يكون أكبر من المعلن، ومن ثم حاولت العديد من الدراسات تفسير ذلك بإرجاعه إلى عدة أسباب أهمها:

١ ـ أنَّ هناك عدم دقة في التقديرات الإحصائية عند رصدها لمحاولات الانتحار لأسباب عديدة منها:

أ ـ أنّ كثيراً من حالات الانتحار لا تسجَّل بالمستشفيات.

ب ـ أنّ نسبة كبيرة ممن يسجلّون يتم تسجيلهم على أنها مجرد حوادث طارئة[١].

٢ ـ أنّ الإحصاءات المتوفرة غالباً ما تتجاهل حالات الانتحار في المناطق الريفية والنائية والبدوية والتي لا تدخل في الإحصاء الرسمي في المجتمعات التقليدية والعربية على وجه الخصوص.

٣ ـ إنَّ هناك عوامل اجتماعية وثقافية وأخلاقية قوية تلعب دوراً مهماً في عدم الإبلاغ عن بعض حالات الانتحار، وبالتالي لا تدرج في الإحصاءات التي تنشر أو تذاع.

وفي هذا الصدد أشار شريف وكانكل Kankel Sharefe إلى أنَّ الإحصاءات الرسمية المعلنة في الغالب لا تشتمل عدداً كبيراً من الوفيات التي لم تسجَّل كحالات انتحار لأسباب عديدة لعل أهمها إنقاذ العائلات من العار الاجتماعي للانتحار[٢].

ويشير (العفيفي) إلى أنَّ عوامل التصنيف الخاطئ لبعض حالات الحوادث تقف وراء تقليل العدد الإجمالي للمنتحرين أو حتى الذين

---

(١) حسن علي فايد، مرجع سبق ذكره، ص ص ٧١ ـ ٧٢.
(٢) عبد الحكيم العفيفي، مرجع سبق ذكره ص ١٣١.

شرعوا فيه نتيجة الخوف من العار والفضيحة الاجتماعية وتستر الأهل والأقارب على موضوع الانتحار مزيفين الحقيقة بحجج مختلفة، لما للانتحار (وخاصة في بعض الثقافات التقليدية) من آثار سلبية على مستوى أفراد الأسرة الاجتماعي (من نواحي المهنة، والزواج، والعلاقات الاجتماعية التبادلية مع الآخرين).

ويشير (البداينة) في دراسته للانتحار في المجتمع الأردني إلى أنَّ الشخص المنتحر في المجتمع الأردني وعائلته يتعرضان إلى العديد من الأوصمة الاجتماعية بسبب الأقدم على الانتحار، وذلك لاقتران حالات الانتحار بمشكلات تسئ لمكانة الأسرة وإلى اتجاهات الآخرين نحوها ولا سيما فيما يتعلق بالعفة وشرف الأسرة[1].

وهكذا فإنَّ أسرة المنتحر وأقاربه غالباً ما يواجهون ـ في المجتمعات العربية بوجه خاص ـ بضغوط اجتماعية تدفعهم إلى إخفاء جريمة الانتحار وعدم إعلانها على المستوى الاجتماعي من أجل المحافظة على الاندماج والتكامل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٤ ـ في كثير من الحالات يرجع التفاوت بين الأرقام المعلنة والأرقام الحقيقية لحوادث الانتحار إلى تخلف إمكانيات الأجهزة الداخلية والإدارية وأساليبها في الإحصاء.

٥ ـ إنَّ الانتحار (بسبب نقص الدلائل الواضحة التي تشير إلى نية المتوفى وإنَّ إيقاع الأذى بنفسه كان متعمداً) أحياناً يصنَّف على أنه حادثة أو يكون تصنيفه غير محدد فلا يدخل بذلك في أعداد الانتحار

(١) ذياب البداينة، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦٩.

ونسبة، ويتسبب هذا في أنَّ كثيرا من حالات الانتحار تمر وكأنها موت طبيعي، أو كسبب حادثة عارضة.

٦ ـ في بعض الثقافات والتشريعات لا يعدّ الحدث انتحاراً ولا القائم به منتحراً إلا إذا ثبت أنَّه تعمده وتوافر جانب القصد في فعله.

واستناداً إلى العوامل السابقة، فإن هناك من يشير إلى أنَّ الأرقام المعلنة عن حوادث الانتحار يجب تضاعفها أربع مرات على الأقل[١] إنْ شئنا إنْ تكْون ممثلة لحجم الظاهرة الحقيقي في الواقع.

ويشير(سمعان) في دراسته عن الانتحار في القاهرة (مصر) إلى أنَّ الإحصاءات الرسمية ومدى تعبيرها عن الحجم والاتجاهات العامة الحقيقية للانتحار هو أمر مشكوك فيه، وذلك لتأثر هذه الإحصاءات باعتبارات السياسة الداخلية وخصوصاً الاعتبارات التي ترتبط بالأمن العام[٢]. وفي ضوء ما انتهت إليه دراسته، فإنَّ إحصاءات الأمن العام تبين أنَّها تقتصر على حصر التبليغات المقدمة لأقسام الشرطة بناءً على جمع الأدلة الأولية دون تحقيق مستفيض على نوع الواقعة ودون التحقق من صفتها القانونية، فثمة هوة من الاختلاف لا يمكن عبورها بين إحصاءات الشرطة والإحصاءات القضائية هي الفارق بين مجرد التبليغات وبين القضايا الحقيقية[٣].

ورغم ما تتسم به تلك الإحصاءات والأرقام من قصور في التعبير عن الحجم الحقيقي لظاهرة الانتحار، إلا أنَّه ليس أمام الباحث في هذه القضية

---

(١)أحمد محمود عباس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٠ .
(٢)مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص ١١٠ .
(٣)مكرم سمعان، المرجع السابق، ص ١٢١ .

من سبيل سوى الاعتماد على تلك الأرقام لإلقاء الضوء على حجم المشكلة عالمياً ومحلياً وهو أمر لا مفر منه لمن يريد أنْ يتناول ظاهرة الانتحار بالدراسة والتناول العلمي المنهجي.

٣ . ٢ الانتحار على المستوى العالمي

لقد مر بنا كيف أنَّ تصنيفات منظمة الصحة العالمية تشير إلى أنَّ قتل النفس (الانتحار) يعدّ من أهم ثلاثة أسباب للوفاة من بين ١٤٠ سبباً ممكناً للوفاة على مستوى العالم، وكيف أنَّ الأرقام والإحصاءات الرسمية الدولية (هيئات دولية) والقطرية (على مستوى كل دولة) تشير إلى التزايد الملحوظ في أعداد المنتحرين عاماً بعد عام.

ولقد أوضح التقرير السنوي لمنظمة الصحة العالمية أنَّ الأرقام تفيد بوفاة مليون شخص بالانتحار عام ٢٠٠٠م على مستوى العالم، وهذا يعني وفاة حالة واحدة كل ٤٠ ثانية، وتتوقع منظمة الصحة العالمية أنْ يصل العدد إلى مليون ونصف في عام ٢٠٢٠م.

وتقدر نسبة الانتحار في الدول الصناعية في عام ٢٠٢٠ بنحو ٤,٢ بين كل مائة ألف في حين كان يمثل ١,٨ من بين كل مائة ألف في عام ١٩٩٨م[١].

وهناك ما يسمى بحزام الانتحار، حيث يضم مجموعة الدول الاسكندنافية وسويسرا وألمانيا والنمسا ودول أوروبا الشرقية بالإضافة إلى اليابان حيث بلغ معدل الانتحار في هذه الدول ٢٥ شخصاً لكل ١٠٠ ألف

---

(١)سليمان بن محمد الحسن وصالح بن علي الغامدي، مرجع سابق ذكره، ص١٢٧.

من مجموع السكان. وسجل أعلى معدل انتحار في المجر حيث بلغ ٣٥ شخصاً لكل ١٠٠ ألف من السكان بينما كان أقل معدلات الانتحار، في كل من مصر وايرلندا وأسبانيا وإيطاليا حيث بلغ ١٠ أشخاص لكل ١٠٠ ألف من السكان[١]. وفي أمريكا أظهرت الإحصاءات الرسمية أنَّ نحواً من ثلاثين ألفاً من الأمريكيين يقدمون على الانتحار كل عام تقريباً، والمعدل السنوي في أمريكا للانتحار بلغ نحو ١٢ شخصاً لكل مائة ألف شخص[٢].

وتتحدث التقارير والإحصاءات الأمريكية عن أنَّ الانتحار يعد السبب الثالث للوفاة في الولايات المتحدة، وتشير الإحصاءات إلى أنَّ أكثر من مائتي جندي أمريكي ينتحرون كل عام[٣].

ولقد حذرت منظمة الصحة العالمية من أنَّ الانتحار بات مشكلة متفاقمة بين الشباب في الصين واليابان وجزر المحيط الهادئ، وفي تقرير لمكتب غرب منطقة الهادئ للمنظمة، أشير إلى أنَّ ألف ومائة حالة انتحار تقع يومياً في تلك المنطقة التي تضم سبعة وثلاثين بلداً من أصل مليون شخص ينتحرون سنوياً في العالم[٤].

وتزداد نسبة الانتحار في البلدان المتقدمة بينما تنخفض في البلدان النامية، وأرجعت بعض الدراسات هذا التفاوت بين الدول المتقدمة والدول النامية إلى أنَّ علاقة المجتمعات النامية بالحياة علاقة وطيدة أكثر لأنها مرتبطة بالحاجات البدائية (الأولية كالماء والغذاء) فهم لم يبلغوا المرحلة الذهنية التي تظهر فيها المآزق التي تتطلب حلولاً فكرية.

---

(١) اوزجان بشار، طقوس وتنوع الانتحار عبر التاريخ، الانترنت ١٤٢٣هـ.
www.Hayatanafs..com/8ar2-lak/suicide history.htm

(2)Marcus, E.Why Suicide (N.Y:Horper Collins,1996)pp.2-3

(٣) عبدالناصر محمد، (الجدران المتصدعة، مطابع المحسن، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤) عبدالحكيم عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص٩٤.

وثمة ملاحظات جديرة بالتنويه فيما يتعلق بقضية الانتحار على المستوى العالمي والدولي نوردها فيما يلي :

١ ـ إنَّ الارتفاع في معدلات الانتحار والشروع فيه (محاولة الانتحار) عبر الزمن في المجتمعات المختلفة ليس اتجاهاً مطرداً على الإطلاق وذلك لأنه يتغير ارتفاعاً وانخفاضاً تبعاً للتغيرات الحادة والكوارث الاجتماعية الطارئة على المجتمع[١] .

٢ ـ إنَّ أعلى معدلات نسب الانتحار في المجتمعات الغربية تكون في الفئة العمرية بين ٥٥ و٦٠ سنة[٢]، وهو ما يتفق مع ما أشار إليه دور كايم من أنَّ ثمة حقيقة تؤكد أنَّ معدل الانتحار يزداد مع تقدم العمر في المجتمعات الغربية التي درسها، وأن نسبة السلوك الانتحاري (شروع وكارثة) ترتفع إلى أقصى مداها في مرحلة العمر المتوسط بين ٢٠ و٤٠ سنة في الدول العربية، وتتضاءل كلما تقدمت السن على عكس الدول الغربية[٣] .

٣ ـ إنَّ غالبية المنتحرين على مستوى العالم كانوا مصابين بأمراض نفسية أو عضوية (بنسبة ٩٨٪)، في حين أنَّ نسبة ضئيلة جداً كانوا أسوياء (غير مرضى) ويمثلون ٢٪[٤] .

٤ ـ إنَّ نسبة الانتحار إلى القتل في الولايات المتحدة الأمريكية بلغت ٣ : ٢ وهذا يعني أنَّ في مقابل كل مقتلين ينتحر ثلاثة أفراد وأن

---

(١)مركرم سمعان، مرجع سبق ذكره ، ص٩١ .
(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره ، ص١١٥ .
(٣)المرجع السابق ، ص١١٥ .
(٤)أوزجان بشار ، مرجع سبق ذكره .

الانتحار يحصد أرواح ٣٠ ألف أمريكي سنوياً[١] كما أنَّ ٣ ملايين طفل تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٧ـ سنة نصفهم من الفتيات ـ فكروا بالانتحار عام ٢٠٠٢م في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن حوالي الثلث منهم حاولوا الانتحار فعلاً وتلقوا علاجاً سريعاً في العيادات الطبية والنفسية الرسمية. وذلك حسب تقرير المكتب الوطني الفيدرالي للعائلة في ١١ أغسطس عام ٢٠٠٢م، وأنَّ ٩٪ من المراهقين يتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ سنة لديهم أفكار جهنمية عن الانتحار وهؤلاء حاولوا الانتقام من أنفسهم أكثر من مرة.

٥ ـ أفادت جميع الدراسات في فرنسا أنَّ ١٦٠ ألف فرنسي يحاولون الانتحار كل عام يموت منهم يومياً ٣٢ شخصاً، وفي دراسة أجرتها جون كوشيه (رئيس الاتحاد القومي الفرنسي لمكافحة الانتحار) أنَّ الظاهرة تضرب جميع الطبقات في فرنسا دون استثناء، وتتركز بين الشباب في المرحلة السنية ١٦ـ١٧ سنة، ولذا زادت معدلات الانتحار في فرنسا من ١٩٩٣ـ١٩٩٩م بنسبة ٤٠٪ لدى الفتيات و٢٠٪ لدى الفتيان[٢].

إنَّ معظم الدول المتقدمة يصل معدل انتحار الذكور غالباً إلى ما يزيد على ثلاثة أضعاف معدل الإناث.

في الصين تخطط الحكومة الصينية لإنشاء شبكة وطنية للوقاية من الانتحار في الأعوام القادمة نظراً لما تشير إليه الإحصاءات من تنامي ظاهرة

---

(١) أحمد عبدالرحمن إبراهيم، أثر العامل الثقافي في الحد من ظاهرة الانتحار، مجلة الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، عدد ٢٤١، أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ص٢١ ـ ٤٦.

(٢)مجلة أسرتنا، العدد ٤٥، ذو الحجة ١٤٢٤هـ.

الانتحار والشروع من بين الصينيين وخصوصاً فئة الشباب منهم، إذ أنَّ الانتحار يعد سبباً رئيساً يقف وراء أكبر عدد من الوفيات بين أفراد الشبيبة في الصين، حيث أنَّ ٢٠٪ من عدد الوفيات من الشباب الصيني الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٣٤ سنة يموتون بسبب الانتحار، والنساء الريفيات ٣٣٪ للفئة العمرية نفسها[١].

٣ . ٣ الانتحار في المجتمعات العربية

تشير أدبيات الانتحار إلى وجود علامات ودلائل تدل على أنَّ معدلات الانتحار أخذت في الازدياد والارتفاع في المجتمعات العربية على العقود الأخيرة، هذا رغم تسليمنا بأنَّ مشكلة الانتحار في الأقطار العربية لم تبلغ بعد ـ بحمد الله ـ الدرجة نفسها والحدة التي بلغتها في المجتمعات الغربية والمتقدمة.

ويمكن القول (طبقاً لنتائج الدراسات الميدانية والإحصاءات الرسمية) إنَّ معدل الانتحار والمحاولات الانتحارية ترتفع في المدن العربية الكبيرة (العواصم والمدن الكبرى) كالقاهرة، وبغداد، وبيروت، الموصل، ودمشق. . . . إلخ.

ورغم أنَّ الدراسات الإحصائية العملية عن الانتحار في البلاد العربية نادرة، إلا أنَّ ما ظهر منها حتى الآن يدل بصورة تقريبية على ما سبقت الإشارة إليه من أنَّ حالات الانتحار والشروع فيه أخذت في الازدياد[٢].

---

(١) اوزجان بشار، مرجع سبق ذكره.

(٢) انظر كلا من: فخري، المحاولات الانتحارية في لواء الوصل، مجلة كلية الطب، العدد ١، الموصل، ١٩٦٦م، ص٨٠؛ ومكرم سمعان، مرجع سبق ذكره.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنَّ الانتحار في الدول العربية لا يعدّ مشكلة خطيرة إذا ما قورنت بغيرها من أسباب الوفاة، وتشير بعض الأبحاث إلى أنَّ اقل معدلات الانتحار والشروع فيه توجد في الدول العربية ثم ايرلندا[1]. وعلى المستوى العالمي، ورغم أنَّ معظم الدول العربية لا يوجد بها إحصاءات رسمية معتمدة لرصد حالات الانتحار ومحاولته، إلا أنَّ الأرقام المتوافرة حتى الآن في بعض الدول تشير إلى أنَّ البحرين تمثل أعلى نسبة للانتحار من الدول العربية حيث تمثل حالات الانتحار (٩, ٤) لكل مائة ألف رجل، تليها الكويت (٦, ١) لكل مائة ألف، ثم سوريا (٢, ٠) لكل مائة ألف ثم مصر (١, ٠) لكل مائة ألف و(صفر) في الأردن.

أما بالنسبة للنساء، فإنَّ أعلى المعدلات كانت في الكويت (٦, ١) لكل مائة ألف امرأة، ثم البحرين (٥, ٠) لكل مائة ألف، ثم (صفر) في كل من مصر وسوريا والأردن[2].

وتشير النشرة الإحصائية الصادرة عن المكتب العربي لمكافحة الجريمة إلى أنَّ حجم مشكلة الانتحار في بعض الدول العربية عام (١٩٨١م) كان على النحو التالي:

في الأردن ٣٠٥ حالات انتحار، وفي مصر ٩٤٥ حالة، تونس ١٦٦ حالة، السودان ٣٧٩ حالة، والسعودية ١٠٥ حالات[3].

---

(١) فخري الدباغ، الموت اختيارياً، مرجع سبق ذكره، ص١٧٩.
(٢) سليمان بن محمد الحسين وصالح بن علي الغامدي، مرجع سبق ذكره ص٢٩.
(٣) وليد سرحان وبشير البلبيس، دوافع الانتحار في الاردن، ندوة الجريمة، والمجتمع، نحو مفهوم أشمل للوقاية والعلاج، المكتب العربي لمكافحة الجريمة، عمان، ١٩٩٠م، ص ص ١٢٦ ـ ١٥٦.

وفيما يلي إشارات مقتضبة عن معدلات الانتحار في بعض الدول العربية التي تسن لنا إيجاد مصادر معتمدة للإحصاءات المتعلقة بالمشكلة في تلك الدول أو دراسات وبحوث عملية تمت بها :

٣ . ٣ . ١ مصر

في دراسة أجريت على مدينة القاهرة نشرت عام ١٩٦٤م تبين أنَّ معدل الانتحار في مصر بلغ عام ١٩٥٥م (١ , ١) لكل مائة ألف ، وفي مدينة القاهرة بلغ (٩ , ٢) لكل مائة ألف، وفي عام ١٩٥٩م بلغ معدل الانتحار في مصر (٧ , ٠) لكل ١٠٠ ألف ، وفي القاهرة (٣ , ٢) لكل مائة ألف، وفي عام ١٩٦٠م بلغ المعدل (٩ , ٠) لكل ١٠٠ ألف، وفي القاهرة بلغ (٥ , ١) لكل ١٠٠ ألف[١] .

وبمقارنة تلك الأرقام التي تشير إلى معدلات الانتحار في مصر في العقد الأول من النصف الثاني من القرن العشرين بتلك الأرقام التي تضمنتها دراسة (فاير) عام ٢٠٠١م، يتضح أنَّ معدلات الانتحار في مصر قد ارتفعت ارتفاعاً ملحوظاً حيث وصلت نسبة محاولات الانتحار إلى ٣٨ لكل مائة ألف بمدينة القاهرة؛ كما أوضحت الدراسة أنَّ ٦٠٪ من محاولي الانتحار في مصر من الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٤ سنة[٢] .

---

(١) مكرم سمعان ، مرجع سبق ذكره، ص١٣٧ .
(٢) فخري الدباغ، مرجع سبق ذكره ، ص١١٨ .

٣ . ٣ . ٢سوريا

حسب دراسة (الدباغ) فإن معدلات الانتحار بلغت في سوريا ٩ , ٠ لكل ١٠٠ ألف . أما نسبة محاولات الانتحار، فقد تراوحت بين ٩ , ٠ و٢ , ١ لكل مائة ألف[١] . وقد بلغ عدد المنتحرين في مدينة دمشق في عام ١٩٨٦م ما يقرب من ٥٢ حالة انتحار في مدينة بلغ عدد سكانها حوالي ٥ , ٢ مليون مواطن . وهذا يعني انتحار مواطنين من كل مائة ألف مواطن[٢] .

٣ . ٣ . ٣ الأردن

في دراسة أجريت في الفترة من ١٩٦٨ , ١٩٧١ , ١٩٨١م ظهر ارتفاع نسبة الانتحار المكتمل (الفعلي) من ٣ , ٩٪ إلى ١٧ , ٤٪ للفترة نفسها[٣] .

وتشير دراسة (سرحان والبلبيس) إلى ارتفاع معدل الانتحار في الأردن لكل ١٠٠ ألف من السكان من ٢ , ١٢ عام ١٩٨٠م ليصل إلى ٣ , ٢١ عام ١٩٨٥م، ثم عاد إلى الاستقرار ليصل إلى ٣ , ١٥ عام ١٩٩٠م[٤] .

وحسب التقرير السنوي لمديرية الأمن العام بالأردن عن الفترة ١٩٨٠-١٩٩١م تبين ارتفاع نسبة إجمالي حالات الانتحار حيث بلغت نسبة الزيادة ١٢٪ عام ١٩٨١ مقارنة بالعام ١٩٨٠م، وارتفعت النسبة لتصل

---

(١) أحمد محمود عياش، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٦ .

(2) Mohammed Darhaum; Jordan , in : Lee.A.Headly, Suicide in Asia and the near East (Berkeley University of California press.1983)pp.:321-332.

(٣) التقرير السنوي العام لمديرية الأمن العام الأردنية للفترة من ١٩٨٠-١٩٩١م، عمان، الأردن، ١٩٩٢م.

(٤)وليد سرحان وبشير البلبيس ، مرجع سبق ذكره، ص١٥٦ .

لأعلى زيادة لها عام ١٩٨٥م، حيث بلغت ٦ , ١١٠٪ ، ثم استقرت عند ٥ , ٦٦٪ عام ١٩٩١م مقارنة بالعام ١٩٨٠م[١] .

٣ . ٣ . ٤ اليمن

تشير الأرقام إلى تزايد معدلات الانتحار في الفترة من ١٩٩٤م حتى منتصف ٢٠٠٢م حيث تم رصد ٨٠٠ حالة مسجلة لدى السلطات الرسمية خلال تلك الفترة، كان العدد الأكبر منهم من الشباب من كلا الجنسين[٢] .

٣ . ٣ . ٥ لبنان

رغم وجود صعوبات كثيرة تواجه الباحث عن أرقام الانتحار وإحصاءات في الدوائر الرسمية اللبنانية كما يؤكد (عياش)، فإنَّ معدلات الانتحار التي تم رصدها كانت على النحو التالي :

في عام ١٩٧٤م، وقبل الحرب الأهلية اللبنانية بعام واحد بلغ عدد المنتحرين انتحاراً ناجحاً ٥٨ شخصاً ، هبط في عام ١٩٧٥م هبوطاً كبيراً إلى ٥ أشخاص فقط، بينما عاود الارتفاع حتى وصل إلى ٥٥ منتحراً سنوياً في عامي ٢٠٠٠و ٢٠٠١م.

أما عن محاولات الانتحار (الانتحار الفاشل)، فكانت ٨٣ محاولة عام ١٩٧٤م انخفضت إلى ٥٢ محاولة انتحار في عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠١م[٣] .

---

(١) التقرير السنوي العام لمديرية الأمن العام الأردنية، للفترة من ١٩٨٠-١٩٩١م ، عمان ، الأردن، ١٩٩٢م.
(٢) فخري الدباغ ، مرجع سبق ذكره، ص١٢٠ .
(٣) أحمد محمود عياش ، مرجع سبق ذكره، ص٢٢٧ .

٣ . ٣ . ٦ العراق

نسبة الانتحار تتراوح بين ١ , ٠ و٢ , ٠ لكل مائة ألف من السكان وهي نسبة ضئيلة وإنْ كانت محاولات الانتحار أكثر من ذلك بكثير[١] .

٣ . ٤ الانتحار في المجتمع السعودي

يشكل الانتحار ظاهرة مستحدثة في المجتمع السعودي الذي لم يكن فيما مضى يعرف تلك الظاهرة فيما عدا بعض الحالات الفردية النادرة الوقوع، ولا شك أنَّ بروز تلك المشكلة ، في مجتمع مثل المجتمع السعودي الذي يتميز بخصوصية ثقافية واجتماعية تجعل تلك المشكلة نادرة الوقوع إنما يرجع ضمن ما يرجع إلى التغيرات السريعة والمتلاحقة التي شهدها المجتمع السعودي نتيجة لعمليات التنمية التي ترتب عليها تغيرٌ اجتماعي وثقافي سريع وعميق وشاملٌ مما يشكل بيئة ملائمة تظهر العديد من مظاهر التفكك الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية ومن بينها بطبيعة الحال مشكلة الانتحار حيث لوحظ تزايد حالات الانتحار، في السنوات الأخيرة، وفي مقارنة بين حوادث القتل العمد، وحوادث قتل النفس تبين أنَّ الأفراد الذين يقتلون أنفسهم (ينتحرون) أكثر من أولئك الذين يموتون بسبب جرائم القتل العمد في المجتمع السعودي، حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أنَّ مجموع حوادث القتل في المملكة عام ١٤٠٧هـ بلغت ٥٦ حالة بينما بلغ عدد حالات قتل النفس ١٠١ حالة، وفي عام ١٤١٤هـ ١٥٠ حالة قتل عمد، وحوادث قتل النفس ١٦٠ حالة أما في عام ١٤١٥هـ تساوت حالات القتل العمد مع حالات الانتحار (١٤١) حالة، لكل منهما، وفي عام

(١) فخري الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص١٤٨ .

١٤١٦هـ عادت حالات الانتحار للارتفاع حيث بلغت ١٧٤ حالة بينما القتل العمد بلغت ١٤٦ حالة [١]، وإذا أخذنا معدلات حالات الانتحار لكل مائة ألف من السكان فإنَّ المجتمع السعودي يعدّ من بين أقل البلدان معاناة من هذه الظاهرة بحمد الله تعالى (شخص واحد لكل مائتي ألف من السكان) . أما في الولايات المتحدة، فهناك ١١ حالة انتحار لكل مائة ألف، و٨ حالات انتحار لكل مائة ألف في الهند .

والجدول التالي يوضح حالات الانتحار وحالات محاولة الانتحار خلال خمس سنوات (١٤١٩-١٤٢٣) في المجتمع السعودي [٢] .

السنة / الحالة	١٤١٩هـ	١٤٢٠هـ	١٤٢١هـ	١٤٢٢هـ	١٤٢٣هـ	
انتحار	١٣٠	١٩٢	١٩٩	٢٢١	٢٦١	ارتفاع مضطرب ومستمر
محاولةانتحار	٤٤	٤٠٤	٢٥٥	٢٦٧	٢٧٥	ارتفاع وتذبذب

وتشير تلك الأرقام إلى مايلي :

١ ـ التزايد المستمر والمضطرد في عدد حالات الانتحار خلال السنوات من ١٤١٩هـ إلى ١٤٢٣هـ حيث بلغت نسبة الزيادة في عام ١٤٢٣هـ ١٠٠,٨٪ مقارنة بالعام ١٤١٩هـ أي أكثر من الضعف .

٢ ـ تذبذب معدل حالات محاولة الانتحار حيث كان ٤٤ محاولة عام ١٤١٩هـ، وارتفع ارتفاعاً ملحوظاً في العام التالي ١٤٢٠هـ حيث

---

(١) الكتاب الإحصائي، إدارة التخطيط والإحصاء لوزارة الداخلية، الرياض، للأعوام ١٤٠٧ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥م، ١٤١٦هـ.

(٢) المصدر السابق .

بلغت ٤٠٤ حالات بنسبة زيادة ٢,٩١٨٪ ، ثم عادت إلى انخفاض، في العام الذي تلاه ١٤٢١هـ حيث بلغ ٢٥٥ حالة، ثم استمر في الارتفاع.

٣ـ إنَّ نسبة الزيادة في حالات الانتحار في العام ١٤٢٣هـ بلغت ١,١٨٪ مقارنة بالعام ١٤٢٢هـ؛ أما حالات محاولة الانتحار فبلغت نسبة الزيادة فيها خلال الفترة ذاتها ٣٪.

ويوضح الجدول التالي عدد حوادث الانتحار ومحاولات الانتحار وعدد المتهمين فيها للعام ١٤٢٣هـ موزعة حسب الجنسية والجنس والفئة العمرية.

نوع الحادث	عدد الحوادث	عدد المتهمين	المتهمون في ارتكاب الانتحار لعام ١٤٢٣هـ					
			سعودي	أجنبي	ذكر	انثى	بالغ	حدث
انتحار	٢٦١	٢٥٦	٨٩	١٥٨	٢٠٥	٥١	٢٤٦	١٠
محاولةانتحار	٢٧٥	٢٧٢	١٤٤	١٤٨	١٥٣	١١٩	٢٤٧	٢٥

وتعكس الأرقام التي يتضمنها الجدول السابق :

١ ـ إنَّ عدد المتهمين بارتكاب حوادث الانتحار من الأجانب أكبر من السعوديين بنسبة ٧,٦١٪ من إجمالي عدد المتهمين بحوادث الانتحار.

٢ ـ إنَّ الذكور أكثر من الإناث فيما يتعلق بحوادث الانتحار بنسبة ٨٠٪ من إجمالي حالات الانتحار.

٣ ـ إنَّ البالغين (الكبار) أكثر من الصغار (الأحداث) في حالات الانتحار حيث بلغت نسبة البالغين ١,٩٦٪ من اجمالي حالات الانتحار التي وقعت في العام ١٤٢٣هـ بالمملكة.

أما فيما يتعلق بحالات محاولة الانتحار فلقد تبين :

١ ـ إنَّ السعوديين أكثر من الأجانب حيث بلغت نسبة السعوديين ٥٢,٩٪ من إجمالي حالات المحاولة في العام المذكور .

٢ ـ إنَّ الذكور أكثر من الإناث، ونسبتهم ٥٦,٣٠٪ من الإجمالي .

٣ ـ إنَّ الكبار أكثر من الأحداث بنسبة ٩٠,٨٪ من إجمالي حالات محاولة الانتحار .

وعن توزيع الحوادث المسجلة (انتحار، ومحاولة انتحار) موزعة حسب المناطق المختلفة بالمملكة، مقارنة بين العام ١٤١٩هـ، والعام ١٤٢٣هـ كانت الأرقام على النحول التالي :

السنة / المنطقة	١٤١٩هـ		١٤٢٣هـ		نسبة الزيادة	
	انتحار	محاولة	انتحار	محاولة	انتحار	محاولة
الرياض	٥٤	٧	٨٠	٧٩	٤٨٪	١٠٢٨,٦٪
الشرقية	٣٦	٦	٦٢	٥٢	٧٢٪	٧٦٦,٧٪
مكة المكرمة	١٠	٩	٤١	٦٤	٣١٠٪	٦١١٪
عسير	٥	٤	١٥	١١	٢١٠٪	١٧٥٪
المدينة المنورة	٦	٣	١٢	١١	١٠٠٪	٢٦٦٪
القصيم	٦	٢	١٢	١١	١٠٠٪	٤٥٠٪
جازان	ـ	٢	٩	٨	ـ	٣٠٠٪
تبوك	٢	٧	١	٨	ـ	١٤,٣٪
الحدود الشمالية	٣	ـ	٢	٣	ـ	ـ
نجران	٤	ـ	١٠	٣	١٥٪	ـ
حائل	٢	٣	١٠	١٤	٤٠٠٪	٣٦٦,٧٪
الباحة	١	ـ	١	٢	ـ	ـ
الجوف	١	١	٦	٩	٥٠٠٪	٨٠٠٪
المجموع الكلي	١٣٠	٤٤	٢٦١	٢٧٥		

١ ـ تكشف الأرقام والبيانات عن ارتفاع معدلات الانتحار بمدينة الرياض بالمقارنة بالمدن الأخرى وفق الإحصاء في عام ١٤١٩هـ كما يكشف إحصاء ١٤٢٣هـ عن أنّ مدينة الرياض سجلت أعلى معدلات الانتحار ومحاولة الانتحار.

٢ ـ على الرغم من أنَّ التوزيع السابق يتناول ظاهرة الانتحار جغرافياً، إلا أنَّ دلالة الأرقام تؤكد أنّ ارتفاع معدلات الانتحار والمحاولة في الرياض العاصمة لا يرجع في الأساس إلى الموقع الجغرافي ولكن يرجع إلى انخراط المدينة في المدنية وما صاحب ذلك من زيادة في تعقد الظروف الحياتية في العاصمة بالمقارنة بالمدن الآخرى.

والجدول التالي يوضح الحوادث المسجلة (انتحار ومحاولات انتحار) خلال العام ١٤١٩هـ مقارنة بالعام ١٤٢٣هـ موزعة حسب أشهر العام.

السنة / المنطقة	١٤١٩هـ		١٤٢٣هـ	
	انتحار	محاولة	انتحار	محاولة
محرم	٧	٦	٢٤	٢١
صفر	١٠	٣	١٥	٢٦
ربيع الأول	٨	٢	٢٧	٣٧
ربيع الثاني	١٢	١	٢٨	٣٠
جمادي الأولى	١٠	٤	٢٧	٢٩
جمادي الثاني	١٢	٥	٢٢	٢٦
رجب	٩	٤	٢١	١٩
شعبان	١٧	١	٢٢	١٩
رمضان	١٠	٥	٢٠	١٥
شوال	١٢	١٠	١٥	٢٠
ذو القعدة	١١	٢	١٨	١٦
ذو الحجة	١٢	١	٢٢	١٧
المجموع الكلي	١٣٠	٤٤	٢٦١	٢٧٥

ويتبين من الجدول السابق أنَّ أكبر عدد حالات الانتحار عام ١٤١٩هـ وقعت في شهر شعبان (١٧ حالة)، وأقل عدد في شهر محرم، أما عن حالات محاولة الانتحار فكان أكبر عدد في شهر شوال وأقل عدد في شهر ربيع الثاني، وشهر شعبان ، وذي الحجة .

وفي عام ١٤٢٣هـ فإنَّ أكبر عدد من حالات الانتحار كانت في شهر ربيع الثاني وأقل عدد في شهر صفر، وشهر شوال .

ومع أكبر عدد من محاولات الانتحار في شهر ربيع الأول وأقل عدد منها في شهر رمضان .

الفصل الرابع

النظريات المفسرة للانتحار

٤ . النظريات المفسرة للانتحار

تمهيـــد

تأتي أهمية تفسير أي ظاهرة أو مشكلة من أنه يقودنا إلى تشخيص المشكلة والتعرف على العوامل المسببة لها، وطبيعة العلاقة بين هذه العوامل من حيث تداخلها وتشابكها وما يحدث بينها من تفاعلات تؤدي في النهاية إلى حدوث الظاهرة أو وقوع المشكلة المعينة. كما تنبع أهمية التفسير أيضا من زاوية أخرى من أنَّه يقود إلى البحث عن أنسب السبل وأنجع الوسائل والأساليب لمواجهة المشكلة والتصدي لها والقضاء عليها ـ إنْ تسنى ذلك أو على أقل تقدير التخفيف من هيمنتها. وكلما كان التفسير سليماً وصحيحاً ومستنداً إلى أسس علمية وواقعية ومؤيداً بالشواهد، جاءت جهود المواجهة وأساليب التصدي أكثر فاعلية في الحد من المشكلة والعكس صحيح؛ ولا شك أنَّ ظاهرة الانتحار هي جزء من مكونات ظاهرة الإجرام عموماً[1].

والمدارس العلمية التي حاولت تفسير السلوك الإجرامي كثيرة ومتعددة، منها المدرسة البيولوجية أو التكوينية، والمدرسة النفسية بفروعها المختلفة، والمدرسة الاجتماعية ومداخلها المتصارعة، والمدرسة الجغرافية،

---

(١) ينظر إلى الظاهرة الإجرامية في معناها العام على أنها سلوك إنساني يحدث في المجتمع اضطراباً، وهي فعل أو امتناع يخرق قواعد الضبط الاجتماعي، وهي بهذه المعنى واقعة اجتماعية في حياة الفرد والجماعة، ومن ثم يجب تفهم الأسباب الدافعة لها حتى يمكن التوصل إلى السبل الملائمة لقمعها.
انظر: محمد فتحي عيد، السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات نذر الخطر وعلامات التفاؤل، سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية بالسعودية، الكتاب السابع، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ١٢ .

والمدرسة التكاملية . . . وغيرها . ولقد تعددت الآراء والمذاهب والاتجاهات المنبثقة من تلك المدارس، واختلفت إلى حد التناقض والتصارع ـ أحياناً ـ حول تفسير ظاهرة الجريمة عموماً والسلوك الإجرامي، وتوضيح العوامل والأسباب التي تدفع الفرد إلي سلوك طريق الجريمة.

وفي السياق نفسه جاءت المحاولات العلمية لتفسير ظاهرة الانتحار حيث تعددت الآراء والنظريات واختلفت الاتجاهات والمداخل على النحو الذي أشرنا إليه.

فالانتحار جريمة، والجريمة هي نوع من الخروج على قواعد السلوك التي يضعها المجتمع لأفراده، فالمجتمع إذاً هو الذي يحدد ماهية السلوك العادي والسلوك المنحرف أو الإجرامي وفقاً لقيمه ومعاييره التي ارتضاها لضبط سلوك أفراده وحمايتها[1] إذ أنَّ من الحقائق الاجتماعية المعروفة أنَّ لكل مجتمع أنظمته الاجتماعية وأعرافه customs وآدابه السلوكية mannErs وطرقه الشعبية Folfwaysالتي تضبط سلوك أفراده.

إنَّ أدبيات الجريمة والانحراف تزخر بالعديد من النظريات التي تفسر السلوك الإجرامي يبلغ عددها عدد حقول البحث العلمي تقريباً، فكل حقل من تلك الحقول أبتدع على الأقل نظرية واحدة للجريمة، وترتب على ذلك أنْ تنوع الوضع (الامبيريقى) لهذه المحاولات التفسيرية بسبب تنوع المفاهيم التي تنتمي إلى هذه العلوم المختلفة.

ولقد صنّفت (نيتزل Netzel) النظريات المفسرة للجريمة إلى أربع فئات رئيسة [2].

---

(١) سامية حسن الساعاتي، الجريمة والمجتمع، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٦.

(2)Micheal T. Netzel ; Crime and it‘s Modification,(Pergaman International library pren, N.Y.,1979)pp:50-53.

١ ـ التفسيرات البيولوجية ورائدها لمبروزو Lomproso (أبو علم الإجرام).

٢ ـ التفسيرات النفسية.

٣ ـ التفسيرات النفسية الاجتماعية.

٤ ـ التفسيرات الاجتماعية.

ولقد كان من الطبيعي أنْ نجد العديد من النظريات والمداخل النظرية التي تستهدف تفسير عملية الانتحار، وكل نظرية أو مدخل حاول أنْ يفسر جزئياً السلوك الانتحاري، وأغلب هذه الاتجاهات ركزت على جانب واحد أو عامل واحد لتفسير السلوك الانتحاري مع إغفال جوانب وعوامل أخرى يضمنها غالباً العقل والسلوك الانتحاري.

كما أنَّ التوصل إلى نظرية عامة شاملة التفسير الانتحاري كسلوك إنساني ومشكلة اجتماعية ما زال بعيداً عن متناول الباحثين في الوقت الراهن، وذلك لتعقد النفس البشرية من ناحية وتعدد المتغيرات التي تؤثر فيها من ناحية أخرى.

إلا أنَّ هناك ـ على وجه العموم ـ عدة مبادئ واعتبارات ينبغي التنبه لها عند محاولة تفسير الانتحار وأهمها:

١ ـ إنَّ وجود علاقة بين بعض العوامل لا يعني بالضرورة أنْ تكون هذه العلاقة علاقة سببية أي علاقة علة بمعلول.

٢ ـ لا توجد حتى الآن نظرية واحدة كافية لشرح وتفسيرها ظاهرة الانتحار.

٣ ـ يجب التمييز بين الأسباب الأولية والثانوية ولا يتعين خلطها.

٤ ـ إنَّ قضية السببية في الجريمة عامة والانتحار بوجه خاص قضية معقدة وليست بسيطة، وهناك عبر التاريخ تفسيرات مختلفة للانتحار فيها التأويلات الفلسفية والسيكولوجية والاجتماعية والعضوية وغير ذلك.

وفيما يلي نعرض باختصار لبعض الاتجاهات النظرية التي حاولت تفسير ظاهرة الانتحار:

٤ . ١ التفسير البيولوجي الفيزيقي (العضوي)

ويستند الاتجاه البيولوجي في التفسير إلى افتراض مفاده أنَّ ميل (اتجاه) الفرد للانتحار إنما يرجع أساساً إلى استعداد فطري بيولوجي موروث لدى الفرد، كما أنَّ هناك علاقة بين السلوك الانتحاري والتكوين العضوي الفيزيقي للجسم، سواء من ناحية الشكل أو من ناحية الكفاءة الوظيفية لأجهزته المختلفة كالمخ والجهاز العصبي، والفرد[١] ويتضمن الاتجاه البيولوجي لتفسير الجريمة عموماً عدة نظريات لعلَّ أهمها:

١ ـ نظرية وراثة السلوك الإجرامي[٢].

٢ ـ نظرية التكوين الفيزيقي العضوي.

٣ ـ نظرية الأنماط الجسمية والفيزيقية.

ويعتبر (لمبروزو Lomproso ١٨٣٥ـ١٩٠٩م) رائد هذا الاتجاه، حيث ظهرت مدرسته في منتصف القرن التاسع عشر وأطلق عليها المدرسة

---

(١) سعد المغربي، علم النفس الجنائي، مطبعة كلية الشرطة، القاهرة، ١٩٧٤م ص ٧٧.
(٢) عمر العيد رمضان، دروس في علم الإجرام، النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م ص١٦.

الوضعية الإيطالية، وركزت اهتمامها في دراسة المجرمين من الناحيتين التشريحية والعضوية. كما توصل لمبروزو إلى أنَّ المجرم الحقيقي هو (المجرم بالفطرة)، أي ذلك الإنسان الذي يولد مجرماً بطبيعته بناء على ما ورثه عن أصله الأول من خصائص أو علامات بيولوجية معينة هي التي تدفعه عن طريق التفاعل على شخصيته إلى أشكال الجريمة[1].

إنَّ التفسير البيولوجي ينظر إلى الانتحار على أنَّه صورة من صور العنف والعدوان مصدره الجينات التي يرثها الإنسان، أو خلل في خلايا الجهاز العصبي، أو خلل في الغدد.

وتركزت الأبحاث الحديثة على دراسة التحولات داخل نقاط التشابك العصبية في الدماغ والتي تلعب دوراً محفزاً في ازدياد عدد المتقبلات المختصة بالسيروتونين. وبينت بعض الدراسات أنَّ انخفاض مستوى البروتين يرافقه ازدياد في محاولات الانتحار وكذلك العنف، كما أظهرت الدراسات التي أجريت على التوائم في الولايات المتحدة أنَّ التوجيه الانتحاري كان مرتفعاً عند التوائم المتماثلة بالعوامل الوراثية (أسيل homozygotes) أكثر منه عند التوائم غير المتماثلة بالعوامل الوراثية (مختلفة الاقتران homozygotes)؛ لذلك يعتقد بعض العلماء بوجود سبب وراثي وراء ظاهرة الانتحار وفكر الانتحار[2].

---

(١) يقصد بالوراثة heredity تلك العملية البيولوجية النظامية التي تنتقل بها الخصائص من، الأصول إلى الفروع ويتم ذلك عن طريق الموروثات أو حوامل الصفات الوراثية طبقاً لقوانين ثابتة، وقد تكون الوراثة فسيولوجية أو سيكولوجية.
ـ انظر: عبد الرحمن عيسوى، مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٩.
(٢) أحمد محمود عباس، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٣

إنَّ الهدف الأخير من استراتيجية تلك الأبحاث هدفهم العوامل البيولوجية المساهمة في أخطار السلوك الانتحاري ولتطوير العمل من أجل اختبار دم بإمكانه كشف الأشخاص الذين لديهم قابلية مرتفعة للسلوك الانتحاري[١].

ولقد تعرض هذا الاتجاه إلى انتقادات كثيرة قللت من مصداقيته ورفضت ما يقوم عليه من افتراضات لا تقوى على الثبوت أمام الشواهد الامبيريقية؛ من أجل ذلك قرر الكثير من الباحثين عدم إمكانية ربط الانتحار بالعوامل الوراثية (الجينية)، وأكدوا على عدم وجود مورث للانتحار suicide gene .

٤ . ٢ النظريات النفسية لتفسير الانتحار

يقوم التفسير النفسي للسلوك الإجرامي بوجه عام على أساس أنَّ الجريمة (السلوك الإجرامي) تعود في الأساس إلى الخلل أو الاضطرابات في التكوين النفسي للشخصية التي تفصح عن نفسها في أشكال أخرى من السلوك المنحرف تبعاً لظروف وعوامل تكوين كل شخصية، مع عدم إغفال العوامل الاجتماعية المؤثرة في علاقة الفرد بالآخر[٢].

ويميل كثير من الباحثين إلى أنَّ الانتحار من الزاوية النفسية- هو حصيلة أزمة حادة دوماً، وأنَّ صعاباً ضخمة هي التي تحاصر المنتحر فلا يستطيع لها دفعاً[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٦ .
(٢) سعد المغربي، علم النفس الجنائي، وزارة الداخلية، كلية الشرطة، مطبعة كلية الشرطة، ١٩٧٤م، القاهرة، ص٩٢ .
(٣) ليون مينارد، مرجع سبق ذكره، ص ١٦ .

وهناك العديد من المداخل والاتجاهات تنتمى إلى التفسير النفسي لظاهرة الانتحار نعرض لأهمها مع بعض الإجمال فيما يلي :

٤ . ٢ . ١ مدرسة التحليل النفسي

وهي تدين بالفضل إلى رائدها عالم النفس والطبيب النفسي فرويد الذي عرف كيف يسبر أغوار النفس البشرية ويغور في امتداداتها ويغوص في أعماقها . وتقوم نظرية التحليل النفسي على افتراض أساس مؤداه أنَّ غريزة الجنس هي محور حياة الإنسان وأنَّ نموه إنّما هو نمو نفس - جنس(نفسجنسي) . كذلك، فإنَّ العقل الإنساني يعمل في مقابل هذه الغريزة وأنّه يحتوى على جانب شعوري يعيه الإنسان، وجانب لا شعوري تدفع إليه (تكبت فيه) الرغبات التي تنازع الإنسان(الفرد) ولا يقبلها المجتمع (يرفضها) ؛ وبزيادة هذه المكبوتات تزداد قوة دفعها في أوقات الشدة ومع مقاومة الفرد لها تنشأ حالات العصاب[١] وفي مقدمتها القلق والتوتر .

ويعتقد كثيرون أنَّ اكتشاف (اللاشعورية) على يد فرويد يعد طفرة عظيمة في حقل العلوم النفسية والعقلية وعاملاً كبيراً في سبر غور النفس البشرية وتفسير السلوك الإنساني[٢] .

---

(١) يشير مصطلح«العصاب» إلى المرض النفسي، وهو عبارة عن اضطراب وظيفي في الشخصية لا يرجع إلى علة أو سبب عضوي أو بيولوجي في البدن وإنما هو تعبير عن صدامات انفعالية لا شعورية لا يعرف المرء مصدرها أو صلتها بالأعراض التي يعاني منها .
ـ انظر : سعد المغربي ، علم النفس الجنائي، ص ٩٤ .
(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره . ص ٣٣ .

ويمكن لنا أنْ نوجز خلاصة نظرية التحليل النفسي في السلوك الانتحاري حيث ننظر إليه على أنَّه عدوان مرتد إلى الذات بفاعلية عمليات التقمص أو الإبدال تحت ضغط اعتبارات اجتماعية أو ذاتية تمنع وقوع العدوان على موضوعه الخارجي. ويعدّ النوعان من الضغوط عوامل إحباط تعزل الفرد عزلاً قهرياً على نحو ما وتمنع عند شخصيته وترتيبها، وتحول دون نضوجه النفسي فيختل بناء الشخصية بصورة تشل قدرته على التفاعل الاجتماعي السوي فلا يتصور في العالم سوى ذاته ثم يتوحد بهذا العالم القاسي في أعماق نفسه ويصر على تدمير نفسه المتأزمة تمديداً للعالم المؤلم[1].

فعلماء التحليل النفسي يرون أن الإنسان يولد ومعه غريزتان أساسيتان تعمل كل منهما ضد الأخرى (ويحملها الإنسان في جهازه النفسي) وهما:

١ ـ غريزة الحياة والحب والبناء.

٢ ـ غريزة الموت والكراهية والفناء.

وتتصارع هاتان الغريزتان في تشكيل السلوك الإنساني، فكل عمل يقوم به الإنسان ويكون وراءه هدف إيجابي بناء يعدّ عملا من أعمال الغريزة الأولى(الحياة)؛ وعلى العكس من ذلك فإنَّ أي عمل يقوم به البشر وراءه هدف سلبي هدام يعدّ عملاَ من أعمال الغريزة الثانية (الموت)[2].

وتبعاً لذلك، فإن غريزة الموت تؤدى إلى العدوان على الذات الذي يؤدي إلى الانتحار، فالكائن البشري حسب رؤية فرويد يتقمص الشخص الذي يحبه بطريقة متناقضة وجدانياً (يحبه ويكرهه). فعند أوقات الإحباط

---

(١) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص ١١٧.

(٢) عبد الحكيم عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦.

يظهر الجانب العدواني من التناقض الوجداني ويوجه ضد الذات، فكأنَّ الانتحار إذن هو تحول الطاقة العدوانية عن الشخص الذي تسبب في الإحباط لتتحول وتتجه إلى معاقبة الذات. ولهذا فإن الإنسان ربما يقوم بقتل نفسه لكي يقتل صورة الشخص الذي كان يكرهه والذي كان يحبه من قبل[1].

وهذا يعنى أن المنتحر يقع فريسة لغريزة أو انفعال عدائي(سادى) أخفق بالتعبير عن نفسه فانعكس على الداخل (الذات نفسها ليقتلها) ويعد الاكتئاب عنصراً أساسيا في خلق هذه الميول العدائية.

وبالرغم من أن كثير من الباحثين، وبخاصة المشتغلين بالتحليل النفسي قد أخذوا بآراء فرويد في تفسير واقعية الانتحار، إلا أنَّ انتقادات عديدة وجهت إلى فرويد بسبب تركيزه على المكونات العدوانية وتحولها من موضوع الحب الأصلي إلى الذات، كما أنَّ إشارة فرويد للدوافع العدوانية وبالتالي دافعية الانتحار إنما كانت بالنسبة للمرضى الذين يعانون من الاكتئاب الذهاني[2].

ويرى البعض أن افتراض الغرائز عامة في تفسير السلوك الإنساني أصبح عبئاً ثقيلاً يعرقل تقدم البحث العلمي، ذلك لأن الطبيعة الأصلية بمعنى(الكيان البيولوجي) شرط ضروري وأساس ولكن ثمة عوامل أخرى

---

(١) المرجع السابق نفسه ص٩١ .

(٢) الذهان: مصطلح يشير إلى المرض العقلى(الجنون) وهو اضطراب خطير في الشخصية يحول بين الفرد وبين التوافق الاجتماعي في شتى صوره، فالمريض العقلي يعيش غالباً في عالم من صنعه الخاص تكاد تنقطع صلته بما يجرى في البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه.

في الواقع الموضوعي تشكلها وتطلقها من كونها وتوجهها لتنمو وتنضج في اتجاه معين[1].

هذا، وبعيداً عن تلك الانتقادات، فلقد سار على درب فرويد في تفسيره للسلوك الانتحاري مع مزيد من الشرح لافتراضاته ومفاهيمه- علماء نفس كثر منهم: فيخل، وآنا فرويد، وكارل منجز، وزلبورغ . . وغيرهم.

كارل منجز: وهو من أشدّ أتباع فرويد تحمساً في افتراض وجود قوى التحطيم، وصنف عمليات الانتحار إلى ثلاث عمليات[2].

١ ـ الرغبة في القتل (يُقْتَل) wish to kill وتعني رغبة المنتحر في تدمير الآخرين إضافة إلى تدمير ذاته، فهو يقدم على الانتحار لكونه تأذى من الآخرين الأقوى منه مما دعاه للانتقام.

٢ ـ رغبة الإنسان في أن يقتل the wish to be killed إذا أهمل الطفل من قبل أهله فإنَّ سيشعر بالغضب حيالهم مما يسبب قلقاً كبيراً وشعوراً بالذنب، يريد أنْ ينتقم وفي الوقت ذاته يريد الإبقاء على أهله، فيتوحد الطفل مع والديه (التوحد مع المعتدي) identification with the aggresor فيوجه عدوانيته نحو أهله الذين هم بالأصل جزء منه فيقدم على تدميرهم، وفي الوقت ذاته يقدم على معاقبة نفسه على ميوله العدوانية.

---

(١) مصطفى، سويف، الأسس النفسية للتحامل الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٨٠.

(٢) راجع: مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره ص ١٥٢، حسين محمد فايد، مرجع سبق ذكره ص ٢١١، ممدوح الروب: مرجع سبق ذكره.

٣ ـ الرغبة في الموت (الرغبة في الاتحاد) The wish to die- the wish to reunite حيث يرغب المنتحر في الاتحاد مع الوالد المحبوب والمكروه في آن واحد .

٤ ـ رغبة الشخص في أنْ يفقد to rescued ويريد أنْ يشعر أنَّ هناك ثمة شخصاً يرغب في أنْ ينتقد ويريد أنْ يشعر أنَّ هناك ثمة شخصاً يريده أنْ يعيش . ومن ثم كان تخليص المنتحر من دوافعه الانتحارية وإدخاله إلى المستشفى كافياً لتهدئة شدة الرغبة في الانتحار ، إذ أنَّ الانتحار هنا يتم ليس بهدف الموت بل بهدف لفت انتباه الآخر (من يهمه الأمر) وذلك للتأكد من اهتمام ذلك الآخر مهتم بعيشه من أنه يتمنى له الحياة ، وصفوة القول في نظرية (كارل ينجز) والتي بناها على تصورات فرويد ـ للانتحار ، أنَّ الانتحار هو قتل مرتد murder netroflexed أو قتل مقلوب inverted homicicle نتيجة لغضب المنتحر من شخص آخر فيقوم بتحويل هذا الغضب إلى داخله أو أنَّه ينتحر عقاباً لنفسه على وجود ، هذا العدوان بداخله نحو هذا الشخص .

هذا ويرى ينجز أنَّ العوامل السابقة أو ا لنزعات (الرغبات) تتفاعل معاً في الشخصية تفاعلاً ديناميكياً وتحت وطأة شروط معينة يسود أحدها ويؤدي بصاحبه إلى تنفيذ الانتحار[١] .

---

(٣) ناجي الجيوش ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .

٤ . ٢ . ٢ المدرسة السلوكية وتفسير الانتحار

ينظر السلوكيون (أصحاب المدرسة السلوكية في علم النفس) إلى الانحراف عموماً (السلوك الانحرافي) على أنه سلوك مكتسب من البيئة وانَّه لا صلة للإنسان به، ومن ثم فهم لا يصنفون مسميات هذا السلوك على أنه سوي أو شاذ[١] .

فكل سلوك[٢] إنساني (أياً كان هذا السلوك) هو في نهاية الأمر سلوك مكتسب يتعلمه الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه[٣] .

ولما كان السلوك عموماً هو كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه أو إزاء مشكلة يحلها أو خطر يهدده أو قرار يتخذه، فإن السلوك الانتحاري ما هو إلا استجابة تصدر طبقاً للاتجاه السلوكي الذي يتعلمه ويكتسبه الإنسان من البيئة المحيطة .

وتعد قابلية السلوك الإنساني في التغيير والتعديل مبدأ أساسياً من المبادئ التي يقوم عليها العلاج السلوكي الحديث، وهو أيضا من المبادئ التي يقوم عليها مجموعة من التخصصات المهنية (مهن المساعدة الإنسانية) التي تقدم العون للناس في مواجهة مشكلاتهم . helping professions مثل الخدمة الاجتماعية والطب النفسي والإرث والنفس وغيرها .

---

(١) محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ربيع الآخر ١٤١٦هـ، ص٢٠٠ .

(٢) السلوك، علم النفس هو التصرف الكل للكائن إزاء منبه معين أو الاستجابة العقلية للفرد في موقف معين .

(3) R . J . Campbell, psychiatric dictionary, N.Y ,Oxford, 1981

٤ . ٢ . ٣ المدرسة الإنسانية

وطبقاً لهذا الاتجاه فإن السلوك الانتحاري يكون نتيجة لعائق أمام تحقيق الذات، أو أنَّه ناتج عن شروط الأهمية التي فرضها عليه أفراد ذوو أهمية في حياته حتى يعطونه ما يحتاج من تقدير واعتبار.

٤ . ٢ . ٤ المنظور المعرفي للانتحار

تركز النظريات المعرفية على العمليات العقلية للفرد أو المنتحر، وينظر إلى الانتحار من هذا المنحنى على أنَّه قرار ضعيف very poor في مواجهة وحل المشاكل التي تواجهه وإزالة الآلام النفسية غير المحتملة؛ ومن ثم فالسلوك الانتحاري طبقاً لهذا الاتجاه إنما يرجع لغياب التفكير المنطقي والعقلاني.

٤ . ٢ . ٥ نظرية الفراغ الوجودي(فرانكل)

وتتحدث بعض النظريات عن فراغ وجودى وعن انعدام لمعنى الحياة كسبب للانحراف عموماً وبالتالي كسبب للسلوك الانتحاري، وخلاصة نظريته (فرانكل) في هذا الصدد أنَّ بعض الأفراد يصابون بما يسمى، أعصاب يوم الراحة الأسبوعية وهو نوع من الاكتئاب يصيب الأشخاص الذين يصيرون واعين بما ينقص حياتهم من مضمون حينما ينتهي اندفاع الأسبوع المزدحم بالمشاغل ويصبح الفراغ داخل نفوسهم جلياً[1].

---

(١) فكتور فرانكل، الإنسان يبحث عن معنى، ترجمة طلعت منصور، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م، ص١٤٣.

٤ .٣ النظريات الاجتماعية لتفسير الانتحار

أهتم العديد من علماء الاجتماع منذ القرن التاسع عشر الميلادي بمحاولة تفسير ظاهرة الانتحار من الزاوية الاجتماعية، وتؤكد البحوث الاجتماعية على وجه العموم فاعلية الاختلال الاجتماعي(التفكك الاجتماعي)[١] الناشئ عن التغيرات الاجتماعية السريعة وغير المتكاملة بين العناصر المختلفة، حضارة الجماعة وما يصحب تلك التغيرات من انحلال في تماسك الجماعات الصغيرة والكبيرة التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية للأفراد أو التي يرتبط فيها الفرد بعضوية ما، وما يبثها من حراك اجتماعي أفقي ورأسي وكلها ظروف قد تقهر الأفراد أو الجماعات إلى الحياة في عزلة على نحو ما، وما ينشأ عن ذلك من الإحساس بوطأة العزلة النفسية والاجتماعية[٢]، ويخلق بيئة مهيئة ومواتية للسلوك الانتحاري.

ويؤكد (ليمرت) Lemart على أنَّ هناك اتصالاً وثيقاً وارتباطاً قوياً بين كل من التفكك الاجتماعي (عدم تكامل العادات والنظم والجماعات والمجتمعات المحلية) والتفكك الشخصي. ويميل الكثير من علماء الاجتماع إلى هذا الرأي حيث يشيرون إلى أنَّ التفكك الاجتماعي يؤدي إلى التفكك الشخصي، إذ أنَّ الشخص مخلوق اجتماعي وذاته نتاج اجتماعي.

---

(١) التفكك الاجتماعي: مصطلح شائع في علم الاجتماع يشير إلى عدم كفاءة النسق الاجتماعي أو فشله في تحديد مراكز الأفراد وأدوارهم المترابطة بشكل يؤدي إلى بلوغهم أهدافهم بصورة مرضية.
راجع: محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٨٨.

(٢) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦.

ويؤكد ليمرت على أنَّ العوامل المهمة أو المباشرة في السلوك الاجتماعي المرضي هي عوامل سوسيولوجية أو نفسية اجتماعية في طبيعتها، ولذلك فإن التفسير ينتهي إلى إبراز عناصر مثل البناء الاجتماعي، والجماعة والمركز، والدور، والتفاعل الهادف[1].

هذا ويعدّ عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم من الرواد الذين فسروا(أو حاولوا تفسير) ظاهرة الانتحار من وجهة نظر الاجتماعيين، ولاحظ دوركايم في دراسته وجود علاقة بين تكرار الانتحار وبين شكل المجتمع . وذهب إلى أنَّ في كل مجتمع معدلاً سنوياً للانتحار وهذا المعدل يرتفع في أوقات السلم، ولدى البروتستانت، ولدى سكان المدن، عنه لدى الريفيين والكاثوليك وفي أوقات الحرب وهذه الملاحظات يقود إلى اعتبار أنَّ معدل حوادث الانتحار ينبع من سيطرة المجتمع على الفرد، وهذه السيطرة وظيفة معقدة يدعوها بوظيفة الاندماج الاجتماعي[2].

ويقرر دوركايم أنَّ الانتحار ظاهرة اجتماعية تتباين وفق عدة متغيرات أهمها:

١ ـ المجتمع الذي تحدث فيه(الإطار المكاني).

٢ ـ وفق المنطقة التي تحدث فيها(داخل المجتمع).

٣ـ مراحل المجتمع الواحد(الإطار الزماني)

٤ ـ الجماعات المختلفة (متزوج ـ أعزب ـ إلخ).

٥ ـ وفق الدين.

---

(١) محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص ١٩ .

(٢) ليون مينارد، مرجع سبق ذكره، ص ٦ .

وتقوم نظرية دوركايم في تفسير الانتحار على تحديد ثلاثة أنواع (أشكال) للانتحار وفقاً للسبب الاجتماعي للانتحار يمكن إيجازها فيما يلي :

٤ .٣ . ١ الانتحار الأناني (الإثري) egoistic suicide

وفيه يقوم المنتحر بالإقدام على الانتحار لأنه يعيش معزولاً عن المجتمع الذي ينتمي إليه ، نتيجة لفشله في التوحد مع المؤسسات الاجتماعية ، وضعف الروابط الاجتماعية بين الفرد والمجتمع ، وانخفاض مستوى التضامن الاجتماعي في المجتمع .

وينطوي هذا النوع من الانتحار على مبالغة الفرد في تقدير نفسه . وهذا النوع من الانتحار يفسر كثرة الانتحار بين الأفراد الذين ينتمون إلى تكوينات أسرية غير متكاملة أو جماعات دينية أو سياسية تقصر نظمها عن تحقيق قدر كاف من تماسك الجماعة وتغذي النزعات الفردية المغالية .

ويكثر هذا النوع من الانتحار في المجتمعات الصناعية حيث ينتشر التنافس والصراع من أجل إشباع الحاجات الشخصية .

كما أنَّ ذلك يفسر زيادة الانتحار بين غير المتزوجين ، وفي المدن عن القرى ، وفي المجموعات الدينية الأقل ترابطاً كالبروتستانت ، مقارنة بالمجموعات العربية الأكثر ترابطاً كالمسلمين والكاثوليك ، وفي الانتحار الإثري لا يعتقد الفرد غالباً بأنَّ انتحاره سيترتب عليه أي نتائج على الجماعة التي ينتمي إليها .

٤ .٣ . ٢ الانتحار الإيثاري (الغيري) altruistic

وهو على العكس من الانتحار الإثري، حيث يكون المنتحر في هذا النمط شديد الانتماء إلى مجموعته وهو لذلك يضحي بنفسه من أجلها إذا كانت هذه التضحية ضرورية.

ومن هنا، فإن الانتحار الإيثاري ينبثق من درجة عالية من التكامل الاجتماعي إلى الحد الذي تنعدم فيه النزعة الفردية ويرى الفرد أنَّ بقاء الجماعة أهم من بقائه كفرد وهو شكل من الانتحار الذي ترتضيه الجماعة ويدعو إليه العقل الجمعي.

وعلى ذلك يكثر حدوث هذا النوع من الانتحار في المجتمعات التي تمتاز بضعف الفردية وقوة التضامن الاجتماعي وضعف القيم الفردية والأنانية، حيث يولد الانتحار لأسباب متعلقة بالتيار الاجتماعي والثقافي.

٤ .٣ .٣ الانتحار اللامعيارى (الفوضوي، الشاذ) anomic suicide

وهو ذلك النوع من الانتحار الذي ينطوي على التفكك الاجتماعي الناتج من اختلال النظام الاجتماعي للفرد، حيث يقوم الشخص بالانتحار عندما تتحطم العلاقة فجأة بينه وبين المجتمع مثل فقد الوظيفة أو موت شخص محبوب يعتمد عليه المنتحر في حياته وسعادته أو مثل أن فتقد الإنسان ثروته فجأة.

ومجمل القول إن الانتحار اللامعيارى (الأنومي) ينتج عموماً من النقص والخلل في النظم الاجتماعية السائدة نتيجة للتغيرات الاجتماعية السريعة التي تضرب أو تخل بالأعراف أو القيم السائدة في المجتمع.

ومما سبق نخلص إلى أن محور رؤية دوركايم للانتحار أنه ظاهرة اجتماعية بل هو دلالة على الأخلاق السائدة في مجتمع ما، كما أنَّ دوركايم أنكر أو رفض التفسيرات المطروحة في القرن التاسع عشر لدور الوراثة والجنون والمناخ وتقليد الآخر في انتحاره.

وكشف دوركايم أنَّ الانتحار يفضح سلطة المجتمع على الفرد، كما أنَّ الانتحار يتأثر ويتغير بطريقة معاكسة لتكامل المجموعات الاجتماعية فيما بينها إذ أنَّ الفرد جزء منتم إليها[1].

وهكذا يؤكد دوركايم أن العامل الأساس لمنع الانتحار هو الارتباط والتضامن الاجتماعي social integration بين الأفراد والجماعات، فكلما زاد ارتباط الفرد واندماجه في المجتمع قلت احتمالية انتحاره. ولقد جاءت المحاولات النظرية بعد دوركايم ففصلت ما أجمله دوركايم أو حاولت تحديد ما غمض من المفاهيم والقضايا التي أكدها.

فحدد (هنرى وشورت) مفهوم التكامل الاجتماعي عند دوركايم بأنَّه يعني شدة نظام العلاقات الاجتماعية توثقها بين الأفراد وشدة عوامل الضبط والكفاءة الخارجية[2].

ولقد رفض(ليون فينارد) في كتابه(الأخلاق والانتحار) الدليل الاجتماعي وحده كتفسير للانتحار، وسلط الضوء والاهتمام على العامل النفسي ـ الشخصي فذكر أنَّ الدليل السوسيولوجي يفضل على ما يبدو الوضع النفسي للإنسان الذي يقتل نفسه ولا يأخذ في الاعتبار ما يؤلف

---

(١) أحمد محمود عباس، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٣ .
(٢) مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧ .

استعداده الداخلي ووعيه القصدى، كما يقول الفنومنولوجيون (الدارسون لعلم الظواهر) وهذا ما ينبغي البدء بتحليله[1].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ (جيمس مارثن) قام بتطوير نظرية دوركايم في الانتحار والتي تشير إلى وجود علاقة عكسية بين التضامن الاجتماعي والانتحار، وتتلخص هذه النظرية فيما يلي[2]:

١ ـ أنّ معدلات الانتحار في مجتمع ما تتباين عكسياً مع استقرار العلاقات واستمرارها الاجتماعية داخل المجتمع.

٢ ـ إنَّ استقرار واستمرار العلاقات الاجتماعية واستمرارها داخل المجتمع يتباين مباشرة مع مقدار تمثل أفراد المجتمع لأنماط العقوبات الاجتماعية ومتطلباتها والتوقعات التي يضعها الآخرون عليهم.

٣ ـ إنَّ درجة تمثل أفراد المجتمع لأنماط العقوبات الاجتماعية ومتطلباتها والتوقعات التي وضعها الآخرون عليهم متباينة عكسياً مع مقدار تعرض هؤلاء الأفراد إلى صراعات الأدوار.

٤ ـ إنَّ درجة تعرض هؤلاء الأفراد إلى صراع الأدوار متباينة عكسياً مع مقدار امتلاك الأفراد مكانات غير متوافقة مع المجتمع.

٥ ـ إنَّ درجة امتلاك الأفراد إمكانات غير متوافقة مع المجتمع متباينة عكسياً مع درجة تكامل الإمكانات في ذلك المجتمع.

ونكتفي بهذا القدر من التناول للاتجاهات الأساسية في تفسير ظاهرة الانتحار سواء من الناحية البيولوجية أو النفسية أو الاجتماعية غير أننا نود التأكيد في ختام هذا العرض على الأتي:

---

(١) ليون نيارد، مرجع سبق ذكره، ص ١١٣.

(٢) ذياب البداينة، جريمة قتل النفس، في المجتمع الأردني، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٠

١ـ برغم تباين هذه الاتجاهات والنظريات والتفسيرات لظاهرة الانتحار إلا أنَّها سلطت العديد من الأضواء على المشكلة من زوايا متعددة وجوانب متباينة وفي مستويات متباينة من شأنها أنَّ ترى أية معالجة علمية لتلك الظاهرة، كما أنَّها تسهم بشكل فاعل في تحديد مسارات أية جهود تستهدف تقويض تلك المشكلة والحد منها.

٢ـ إنَّه بالرغم من إسهامات تلك النظريات في إلقاء الضوء على مشكلة السلوك الانتحاري من زوايا مختلفة، إلا أنَّ هذه الأضواء ما زالت جزئية وقاصرة عن كشف الكل في واقعه الطبيعي ولم تتوصل إلى نتائج حاسمة في تشخيص المشكلة، وتفسير شامل لتفهمها يسمح بالتنبؤ ورسم برامج الوقاية والعلاج الفعال، ولكن ثمة محاولات على الطريق للوصول إلى هذا الهدف.

٣ـ إنَّ جميع هذه الاتجاهات والنظريات التي حاولت قراءة ظاهرة الانتحار وتفسيرها هي في واقع الأمر نظريات غريبة في المقام الأول تفسر الإنسان الغربي في لحظة تاريخية محددة وهي حصيلة لنمو هذا الإنسان وتشابك عوامل تحوله الحضاري، أي أنها تنطلق من التصور الغربي للإنسان والحياة والكون. ومن ثم، فإنَّ ما توصلت إليه من استخلاصات رئيسة يمكن تعميمها على الإنسان الغربي فقط؛ أما مجتمعاتنا العربية الإسلامية، فلها خصوصية فريدة في الحقل المعرفي والوجداني والأخلاقي، كما أنَّ للإسلام الذي يشكل جوهر الثقافة السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية تصوراً فريداً ومتميزاً وخاصة للإنسان والحياة والمجتمع والكون ينبغي أن تنطلق منه أية محاولة لتفسير ظاهرة الانتحار تفسيراً أقرب إلى الصواب والحقيقة.

٤ ـ إننا نود الإشارة إلى عدم جدوى المعالجة الجزئية(أو تجزئة المعالجة) لظاهرة الانتحار تشخيصاً وتفسيراً ومواجهة، فلم يعد يجدي التعامل مع تلك الظاهرة من خلال تفتيت عناصرها وأبعادها، وإنما لا بد من التسلح بالنظرة الشمولية المتكاملة، سواء فيما يتعلق بتفسير الظاهرة وتحديد عواملها أو عند محاولة التصدي لها ومواجهتها. وإذا دققنا النظر في معنى شمولية المنهج المفتقدة في دراسة الظاهرة لأدركنا أنَّ لهذه الشمولية جوانب مهمة، فهناك العوامل والمتغيرات الخاصة بالفرد نفسه، وتلك الخاصة بالمجتمع أو البيئة التي يعيش فيها الفرد، كما أنَّ صيغة العلاقة بين الفرد (ومناخه الاجتماعي) الذي يعيش في كنفه هي الأخرى جديرة بأنْ تشملها هذه الشمولية المفقودة.

ومن هنا، كان من الضروري أنْ نعرض في، الصفحات القادمة للتفسير الشامل لظاهرة الانحراف من منظور إسلامي على النحو الذي يبرز الفروق بين الاتجاهات التقليدية في التفسير وبين الاتجاه المنطلق من التصور الإسلامي.

الفصل الخامس

الانتحار من المنظور الإسلامي

٥ . الانتحار من المنظور الإسلامي

تمهيـــد

أكدت العديد من أدبيات الانتحار ونظرياته أهمية الدين والتدين في الوقاية من الانتحار ، ففي دراسة لظاهرة الانتحار اعتبر دوركايم أنَّ (الدين) يعد عاملاً قوياً وفاعلا في الوقاية من الانتحار[١] . ومن العلماء والباحثين من ذهب إلى أنَّ التماسك الاجتماعي والفكري في الأديان عموماً هو أنفذ مفعولا وأقوى تأثيراً ضد الانتحار من التعاليم الدينية ذاتها . فالدين بوجه عام يساعد على تكامل شخصيات الأفراد ويزودهم بإطار من القيم والمعايير الدينية التي تعدّ موجهات للسلوك وضوابط للتصرفات الإنسانية ، كما أنَّ الدين يعوض عن الفشل الذي قد يتعرض له الإنسان في مسيرة حياته ، وتحقيق آماله وأهدافه وطموحاته في الحياة . ولذلك يشير (ايريك فروم) في كتابه (المجتمع السليم) ، وكتابه(الخوف من الحرية) إلى أنَّ نسبة الاضطرابات النفسية والعصبية تزداد في المجتمعات الحضرية الحديثة ، حيث تصنف المشاعر الدينية وحيث يزداد الإحساس بالفردية والغربة والعزلة والضياع وحيث يزداد القلق والتوتر,[٢] وهو ما تشهده المجتمعات الغربية المتقدمة اليوم ، التي بلغت في الجوانب المادية شأناً عظيماً ولكنها في المقابل أخفقت في الجوانب الإنسانية والروحية والأخلاقية إخفاقاً ملحوظاً تسبب عنه العديد من الأمراض الاجتماعية والنفسية التي أصبحت تعاني منها تلك

---

(١) ناجي الجيوش ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٩ .

(٢) محمد سلامة غباري ، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٨ .

المجتمعات. فالعالم الغربي ـ كما يقول القرضاوي ـ عالم مادي بحت تمكن من أنَّ يوفر للإنسان راحة الجسم ولم يوفر له راحة النفس، حقق له الرفاهية المادية ولم يحقق له السكينة الروحية، هيأ له الوسائل والأدوات ولم يهيىء له المقاصد والغايات. لذلك، رأينا كيف أنَّ إنسان الحضارة الغربية يشكو من القلق والاكتئاب والخوف والأسى واليأس والغربة النفسية والشعور بالضياع وتفاهة الحياة، أنَّ الإنسان في رحاب الحضارة الغربية يشعر أنَّ هذه الحياة لا هدف لها ولا رسالة ولا طعم ولا معنى مما يؤدي في النهاية إلى تحطيم الإنسان من داخله[1] مما يجعل منه فريسة سهلة للوقوع في براثن الانتحار.

ولذلك لاحظ الباحثون أنَّ المجتمعات العربية والإسلامية لم تعرف في تاريخها ظاهرة الانتحار كما عرفتها الأمم الأخرى، وأرجع العديد منهم ذلك إلى ما يتميز به الإسلام من تصور فريد متميز للإنسان والحياة والمجتمع والكون، ذلك التصور الذي يجعل طبيعة من يؤمنون به ويتبنونه طبيعة توحيد على جميع مستويات الوجود والحياة، من توحيد الخالق الأعظم سبحانه وتعالى إلى التوحد مع الأهل والعشيرة الذين هم أصل العقيدة وعشيرة الوطن الأكبر.

وبفضل التوحيد في وجه الثنائية وصراع الأضداد يشع في صميم الفرد المسلم والجماعة المسلمة حالة الطمأنينة الداخلية والانسجام مع النفس تخفف حتى التوتر النفسي والعقلي وتغدو الحضارة حضارة انسجام وتوفيق لا حضارة صراعات، ومن ثم تضمحل ظاهرة الاعتماد، وهذا بطبيعة الحال في الأحوال الطبيعية لحضارتنا لا في الوضع الراهن.

(١) يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، بنك التقوى، الدوحة، ١٩٧٤م، ص١٣٥.

نعم إنَّ الإسلام في العقيدة والسلوك الفردي والجماعي يرفض الثنائية أو التعددية التي تأخذ طابع الصراع والتناقض، ويطرح التوحيد بديلاً لصراع العناصر المتضادة في الوجود فيتألف وينسجم الفرد مع الكون ومع الأهل ومع المجموع البشري ككل . . فالإسلام يعني في جوهره الكوني الوجودي العميق الاستسلام الحكيم للإرادة الإلهية في كل شيء.

والاستسلام للإرادة الإلهية فيما لا نقدر عليه ولا نستطيع تغييره هو لب الحكمة الكونية.

ولما كان الإطار الاجتماعي يلعب دوراً مؤثراً مهماً في ظهور انتشار معدلات ظاهرة الانتحار وتزايدها أو غياب تلك المعدلات وتناقضها، ولما كان الإسلام يمثل جوهر الثقافة السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية، كان حرياً أيضا أنَّ نتناول ظاهرة الانتحار وموقف الإسلام من هذه المعضلة التي تفشت في كثير من المجتمعات والثقافات.

ويدور حديثنا عن هذا الموضوع خلال العناصر التالية:

١ ـ مجموعة الحقائق التي ينبغي أخذها في الحسبان كأساس لبيان الرؤية الإسلامية لظاهرة الانتحار.

٢ ـ التصور الإسلامي للإنسان والحياة.

٣ ـ موقف الإسلام من الانتحار.

٤ ـ الوقاية من الانتحار بنظرة إسلامية.

وفيما يلي معالجة لكل عنصر من تلك العناصر على حده.

٥ . ١ أسس الرؤية الإسلامية لمشكلة الانتحار

إنَّ الدارس لأسس الحضارة الإسلامية ومكوناتها وقيمها مقارنة بغيرها من الحضارات الإنسانية(سواء الراهنة أو الماضية) سرعان ما يتبدى أمام ناظريه مجموعة من الحقائق والاعتبارات التي تجعل من الحضارة الإسلامية غطاء متميزاً وفريداً في تناولها ورؤيتها ومعالجتها لمختلف القضايا الإنسانية بوجه عام ولقضية (الانتحار) باعتباره موقفاً إنسانيا مناسباً للحياة والوجود بوجه خاص ويمكن لنا ـ باختصار ـ أنْ نعرض لمجموعة من تلك الحقائق التي نرى أنها ذات أهمية ودلالة ترتكز عليها الرؤية الإسلامية بالنسبة لظاهرة الانتحار على النحو التالي :

١ ـ إنَّ الحضارة الغربية الراهنة، والتي تحاول في العقود الأخيرة فرض هيمنتها وقيمها وتصوراتها وفلسفتها على العالم بأسره، هذه النظرة وفقاً للنظرة التحليلية لأسسها ومكوناتها ذات فرعين أو نمطين على المستوى الفكري والمستوى العملي :

أ ـ ينكر وجود الله إنكاراً مباشراً ولا يرى أنَّ الله خلق الإنسان، بل الإنسان هو الذي خلق الله كما زعم بعض الفلاسفة الماديين وتبنى «كارل ماركس» وأقام على أساسه فلسفته المادية الجدلية ونظريته الاشتراكية العلمية التي فشلت في الواقع العلمي والاختيار الامبيريقي وسقطت بسقوط ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي .

ب ـ لا ينكر الله في صراحة وقطع ولكنه لا يعترف له بسلطان على عباده يأمر وينهي ويحكم ويشرع وبهذا لا يدع في الحياة ولا في المجتمع مجالا لأمر لله سبحانه وهذا ما عبر عنه« ليوبولد

فايس» أو محمد أسد» بقوله : إنَّ المدنية الغربية لا تجحد« الله» البتة ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة «لله» في نظامها الفكري الحالي[١] .

٢ ـ إنَّ المشروع الحضاري الغربي القائم حالياً، والذي يسعون لنشر قيمه وثقافته وسط نفوذه وهيمنته على المجتمعات المعاصرة، هذا المشروع إنما يقوم في أساسه على توجيهات مادية علمانية تقوم على الفصل التام للدين عن مختلف شؤون الحياة ومجالاتها وميدانها فيما يعرف بالتوجه العلماني secultarization مما يعني أنَّ المؤسسات والممارسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإسلامية والثقافية . . وغيرها ينبغي أن تبنى ـ وفقاً لهذا المشروع ـ على أساس يتصل فقط بهذه الحياة مستبعدة بذلك أي صلة بالله واليوم الآخر[٢] .

ويضيف (فرانسيس فوكوياما) في مقاله الشهير عن نهاية التاريخ المشروع الحضاري الغربي بأنّه يعاني من «خواء روحي»، كما أشار ضمنا في هذا المقال إلى أنَّ الإسلام يمثل الفكر والوعي الوحيد الذي يقوم بديلاً سياسياً للمشروع الحضاري الغربي على الساحة الإيديولوجية في العالم المعاصر[٣] .

---

(١) راجع في ذلك :
ـ يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مرجع سبق ذكره، ص ١٣
ـ أنور الجندي، الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياه، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٣٩ .

(٢) راجع : إبراهيم عبد الرحمن رجب، الإسلام والخدمة الاجتماعية، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ ص ص ١٨ـ٢٢ .

(3)Francis Fukuyama; " The End of History" The National Interest, Summer 1989 .

ويعلق (حسنة) على التوجه العلماني المؤسس على فصل الدين عن شؤون الحياة والمجتمع وخطورته قائلاً : إنَّ دعوات ومحاولات عزل الدين عن الحياة وإبعاده عن هموم الناس والعدول عن أحكامه وجعله شأناً شخصياً وأمراً فردياً مجاله ضمير الإنسان بعيداً عن مسالكه وممارساته هو تدمير للشخصية الإنسانية وانشطار بين فكر الانسان وقناعاته وواقعه الذي لا ينتمي إلى هذه القناعات بصلة بحيث يستمر إنسانا مأزوماً عدوانياً[1] .

٣ـ إنَّ موضوع النبوة ـ في جميع الأديان والرسالات السماوية والإسلام خاتمها ومحلها وسبب جهادها تاريخياً من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد النبي الخاتم ﷺ، كان هو الإنسان وهموم الإنسان، وقضايا الإنسانية ومصير الإنسان وتحرير الإنسان، من العبودية البشرية والارتقاء به إلى عبادة الله عزل وجل، وكانت غاية الدين ومازالت ـ إقامة الحياة الطيبة، بمعنى أنَّ الدين للحياة في المعاش والمعاد: قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ... ﴿٩٧﴾** ﴾(سورة النحل).

ومن ثم كان الإعراض عن الدين والهدى الإلهي المتضمن فيه سقوط لإنسانية الإنسان وعمى البصيرة ودخول في حياة الضنك والشقاء والمعانات قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾** ﴾ (سورة طه). فهو مطموس البصيرة في الدنيا وأعمى البصيرة في الحشر والمعاد.

---

(١) أحمد العبادى، الإسلام وهموم الناس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، قطر، العدد٤٩، السنة ١٥ ، ١٤١٦هـ ص١٢ .

٤ ـ إنَّ الغاية الكبرى من مقصود التشريع الإسلامي هي تحقيق عبودية الخلق لله عز وجل، وحفظ مقاصد الشريعة في الوجود الإنساني والتي هي المحافظة على ضروريات الوجود الإنساني، والتي حددها علماء الأصول في خمسة أمور يوليها التشريع الإسلامي ـ الشرائع والملل كافة ـ أهمية خاصة في المحافظة عليها واستمرار بقائها وتدعيمها وهي:

حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض(النسل)، فضلاً عن حفظ (حاجيات) هذا الوجود، وذلك بوضع أحكام العلاقات الإنسانية في سائر المعاملات، وأخيراً حفظ (تحسينات) الوجود الإنساني من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات[1].

فالإسلام ـ كما هو معروف ـ شريعة ربانية مصدرها وحي الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ويقوم محورها ومبناها على رعاية مصالح الإنسان في معاشه ومعاده، في الدنيا والآخرة، والمحافظة على مصالحه الضرورية و الحاجية والتحسينية، بالحفاظ على دينه، وحياته، وعقله، ونسله، وعرضه، وماله، فهي شريعة رب الإنسان من أجل صالح هذا الإنسان.

٥ ـ إنَّ للإسلام رؤية متميزة وتصوراً فريداً ـ بين جميع الرؤى والتصورات المطروحة ـ للإنسان من حيث كونه ذلك المخلوق المكرم الذي خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلّمه مفاتيح العلوم واللغات، وسخر له ما في السماوات وما

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي، المرافقات في أصول الشريعة، دارا لمعرفة، بيروت، د. ت، ص: ١٣٩.

في الأرض جميعاً ، وزوده ووهبه من الملكات والمواهب والمهارات ما يكون عوناً له على أداء رسالته في الحياة لتحقيق العبودية والنهوض بعمارة الكون ويحقق منهج الاستخلاف .

فالإنسان سر دفين من أسرار الله عز وجل .

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

٦ ـ إنَّ هناك اختلافاً جوهرياً بين الثقافة الإسلامية وبين سائر الثقافات الأخرى فيما يتصل بمعايير الصواب والخطأ، والنافع والضارّ، والحق والباطل، والسلوك السوي والسلوك المنحرف. ومن ثم فالإسلام يؤكد على جملة من المعايير والقيم والمبادئ الضابطة والمنظمة للسلوك الإنساني في شتى مناحي الحياة الإنسانية. بحيث يأتي هذا السلوك وفقاً لمنهج الله الذي وضعه ليلتزم به الإنسان ويستقيم عليه ليسعد في دنياه وآخرته. كما أنَّ النظرة الإسلامية للعقوبة ببعديها الدنيوي والأخروي (الحدود والقصاص والتعزير في الدنيا، والوعيد بعذاب الله في الآخرة) يشكل رادعاً قوياً وحاجزاً مانعاً من استفحال الجريمة والسلوك والانحراف في أوساط المجتمعات الإسلامية، في حين أنَّ الأمر ليس كذلك بالنسبة للنظرة الوضعية للجريمة والعقاب، حيث تقتصر العقوبة على الجانب الدنيوي فقط وهو المتمثل فيما يوقع على الفرد من جزاءات مادية وغرامات وتقييد للحرية ونحو ذلك .

٧ ـ تعد السببية أو الظروف المؤدية إلى ارتكاب شخص ما سلوكاً منحرفاً من الأمور المهمة التي أولتها الشريعة الإسلامية أهمية خاصة واعتباراً خاصاً، فالشخص، وفقاً للشريعة الإسلامية، يعد

مسؤولا عن تصرفه أو سلوكه إذا توافرت فيه شروط المسؤولية (التكليف) والظروف المؤدية بكل فرد إلى ارتكاب سلوك معين غالباً ما تؤخذ بعين الاعتبار .

٨ ـ وأخيراً . . . فإن الحياة (حياة الإنسان) هبة إلهية عظمى ، أحاطها الله بسياج من الحماية والرعاية والصيانة والحفظ بحيث تكون في منأى عن أي محاولة للعبث فيها أو الإضرار بسلامتها . .

لقد جعل الله الحياة هدفاً شرعياً وإنسانياً يتصرف فيه وحده سبحانه ، بداية ونهاية ، صحةً ومرضاً ، وهي بالتالي أمر مقدس لا يخضع للاستخفاف والعبث واللامبالاة ، لذلك كان طبيعياً أنْ يعدّ القرآن قاتل النفس الإنسانية الواحدة كقاتل الناس جميعاً .

٢ . ٥ التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون

تأتي أهمية الحديث عن المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية عند تناولنا لظاهرة الانتحار كلون من ألوان السلوك الانحرافي غير السوي للإنسان انطلاقاً من حقيقتين يسلم بهما المشتغلون بالعلوم الإنسانية والسلوكية والمتخصصون في مهن المساعدة الإنسانية ، تتمثل هاتان الحقيقتان بمايلي :

١ ـ إنَّ الافتراضات التي يقوم عليها أي تصور للطبيعة الإنسانية إنما تلعب دوراً مهماً في تفسير السلوك الإنساني والتعرف على دوافعه ومنطلقاته .

٢ ـ إنَّ معيار صلاحية النظم الاجتماعية التي تستهدف إشباع حاجات الإنسان ومواجهة مشكلاته إنما يتحدد بطبيعة نظرتها وتصورها للإنسان ومدى مطابقة تلك النظرة وذلك التصور لحقيقة الإنسان ذاته .

وفيما يتعلق بالحقيقة الأولى، فإنَّ تحليل الافتراضات الأساسية التي تقوم على نظريات علم النفس الحديث فيما يتصل بالطبيعة البشرية سيؤدي بنا إلى التسليم مع (كارل روجرز) بأن لكل تيار في علم النفس فلسفته الضمنية الخاصة به عند الإنسان، وهذه الفلسفات وإنْ كانت في الأغلب لا تطرح بصراحة، فإنها تمارس نفوذها بأساليب خفية، فالإنسان عند السلوكي (المدرسة السلوكية) مجرد آلة معقدة، ولكنها مع ذلك قابلة للفهم (كآلة)، وفي وسعنا أنْ نتعلم كيف تؤثر فيه ليفكر ويترك ويتصرف بالطرائق التي تختارها له. والإنسان عند الفرويدين (التحليل النفسي) كائن غير عقلاني رهن ماضيه بلا فكاك وحصيلة لذلك الماضي، أي حصيلة عقله اللاواعي (اللاشعوري)، ويضيف (أجروس وستانسيو) إلى هذا النقل عن روجرز قولها بأن نظريات علم النفس تنظر للإنسان على أنَّه «مجرد كائن مادي» حيث ترى السلوكية مثلاً أنَّ «جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة» أما فرويد، فإنّه يبدأ دراسته بافتراضه أن «لا وجود إلا للمادة»[1].

ولا شك أنَّ من يسلمون بمثل هذه الافتراضات المختزلة حول الطبيعة الإنسانية وينطلقون في نظرتهم للإنسان على أساسها من أنَّ الإنسان ليس أكثر من مجرد آلة، أو حيوان مدفوع بدوافع مادية ـ لابد واصلون في نهاية الأمر إلى تفسيرات للسلوك الإنساني تختلف عن تلك التي يسلم بها غيرهم من أصحاب النظريات المعارضة لهم كأصحاب الاتجاه الإنسانيhumamistic Approach الأحدث نسبياً (مثلاً) أو أصحاب التصور الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالحقيقة الثانية، فإنَّ النظر في طبيعة الإنسان ومحاولة الوصول إلى تصور له يطابق ـ بقدر الإمكان ـ حقيقته التي خلقه الله عليها،

---

(١) ابراهيم عبد الرحمن رجب، مرجع سبق ذكره، ص ص ٨٠ ـ ٨٠ .

ينبغي منطقياً أنْ يسبق كل محاولة للنظر في المبادئ الاقتصادية أو النظم الاجتماعية وأسس الرعاية الاجتماعية التي يمكن تقديمها لهذا الإنسان إشباعاً لاحتياجاته، ومعاونة له في مواجهة ما يعترض من طريقة حياته من مشكلات وصعوبات ومنغصات.

ذلك لأنَّ معيار صلاحية هذه المبادىء والنظم ومداخل الرعاية والتوجيه والمساعدة هو مدى صلاحيتها للإنسان، ولا يمكن أنْ نعرف مدى صلاحيتها له إلا إذا عرفنا أولاً ما هو الإنسان[1] وما هي طبيعته وخصائصه ومكوناته، ذلك أنَّ من الحقائق التي عرفها وقال بها كثيرون من المفكرين المعاصرين أنَّ كل نظرية، سياسية كانت أو اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية، بل وكل رأي في تنظيم جانبي من جوانب حياة الإنسان يكمن وراءه تصور معين للإنسان، سواء أكان ذلك بشكل معلن أم بشكل مضمر.

وعلى الرغم من الجهود المتواصلة التي بذلها ويبذلها الباحثون في العلوم الإنسانية، إلا أنَّ ما أحرزته هذه العلوم من تقدم يعتبر ضئيلاً جداً بالقياس إلى ما أحرزته العلوم الطبيعية، ويرجع ذلك إلى الطبيعة المعتبرة للإنسان وأنَّه كل لا يتجزأ بينما تلك العلوم لا توصلنا إلى فهمه ككل، كما يرجع إلى وجود مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية غير معروفة ـ كما أشار إلى ذلك الكس كابريل، لم يستطع العلم الحديث التوصل إليها نظراً لأنه تحت تأثير المادية العلمية أصبح كل شيء لا يرى بالعين أو لا يلمس باليدين مشكوكاً فيه، بل أنَّ هذه الأشياء غير المنظورة أو غير الملموسة أصبحت

(١) عفاف إبراهيم الدباغ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، مكتبة المؤيد، الرياض، ط ١، ١٩٩٤م ص ٦٦.
ـ جعفر شيخ إدريس، التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية، مجلة المسلم المعاصر، المعهد العالم للفكر الإسلامي، العدد ١٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٦١.

مدعاة للشك بسبب صلتها المفترضة بالميتافيزيقا، فلا شيء علمي أو وضعي لابد أنَّ يدرك بالحواس أو يرد إلى أسباب فيزيائية[1].

وتأسيساً على المناقشة السابقة يمكن القول بأنَّ التصور الإسلامي للطبيعة البشرية يستند إلى افتراضات تختلف اختلافاً جوهرياً عن الافتراضات التي سبقت الإشارة إليها والتي تقوم على النظريات الوضعية في حقل العلوم الإنسانية والكونية عن الإنسان، وإنْ استوعبت جوانب الحق فيها، وبديهي أنَّ هذا التصور (الإسلامي) لابد ـ وفقاً لما ذكرناه سابقا ـ أنْ يقودنا بالضرورة إلى تفسيرات للسلوك تختلف اختلاف جوهريا عن التفسيرات التي تقودنا إليها التصورات الوضعية المختزلة المشار إليها.

ونشير فيما يلي ـ وفي عجالة سريعة ـ إلى عدد من الافتراضات التي يقوم عليها التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية بما يخدم أغراض هذه الدراسة والمتمثلة فيما يلي[2]:

---

(١) راجع كلاً من:
- عفاف إبراهيم الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص٦٦ .
- إبراهيم عبد الرحمن رجب، مرجع سبق ذكره ص ٨١.
- غ. ك. يونغ: علم النفس التحليلي، ترجمة نهاية خياطة، دار الحوار، دمشق، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢١٤.

(٢) يمكن ـ للاستزادة حول هذا الموضوع ـ الرجوع إلى:
- عفاف إبراهيم الدباغ، مرجع سبق ذكره ص ص ٦٦-١٠٨
- إبراهيم عبد الرحمن رجب، مرجع سبق ذكره ص ص ٨٢- ٨٨.
- عباس محمود العقاد، الإنسانية في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
- عبد الحميد الهاشمي، علم النفس في التصور الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣م.

٥ . ٢ . ١ الإنسان مخلوق مكرم

فالإنسان ـ وفقاً للتصور الإسلامي ـ كائن فريد خلقه الله عز وجل، وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه تفضيلاً، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة الإسراء)، والقرآن ينطق بأنَّ هذا التكرم فضل من الله تعالى ابتداء، كما يتساوى فيه الرجال والنساء.

ويؤكد التصور الإسلامي أنَّ ميزان هذا التكريم ومعياره إنَّما يعتمد على الارتباط العقائدي للإنسان، حيث إنَّ منزلة التكرم تحددها تقوى الإنسان لله وقبوله هداية الرسل ومنهج الوحي: قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾** ﴾ (سورة التين).

وقال تعالى: ﴿ ... **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ... ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات)، وفي الحديث الشريف: «إنَّ الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب»[1].

وجدير بالتنويه أنَّ هذا الارتباط العقائدي المشار إليه إنما يختاره الإنسان بإرادته ورغبته وليس أمرا طبيعياً مفروضاً لازماً للإنسان لا يستطيع عنه فكاكاً، كما أنَّ التكريم في القرآن الكريم مرتبط بما تشير إليه العديد من الآيات التي تربط به دوراً وتنيط به مهمة لابد للإنسان من الاطلاع عليها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول، دار إحياء التراث العربي، ج١١، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٤٦.

ـ قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (سورة المؤمنون) .

ـ قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة القيامة) .

ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة الذاريات) .

٥ . ٢ . ٢ غاية الإنسان ورسالته ومهمته في الكون والحياة

لم يحظ مخلوق من مخلوقات الله بعناية الله مثلما حظي الإنسان، فخلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأرسل إليه الرسل، وأنزل الكتب، تحمل هدى السماء إلى الأرض من أجل صلاح هذا الإنسان وإصلاحه، وبعلاجه يصلح الكثير من مخلوقات الله في هذا الكون.

وهذا يعنى أنَّ الإنسان ـ خُلق لغاية، وأُعدّ لرسالة، وكلّف بمهمة يؤديها في هذا الكون، وقد يغفل كثير من النَاس عن التكامل والتدبر في حقيقة الغاية من خلقهم في هذه الحياة، كما أرادها الخالق عز وجل وذلك نتيجة انشغالهم بأمور حياتهم اليومية مما يترتب عليه ـ كما نرى ونلحظ ـ أنَّ تحتل الأهداف قصيرة المدى الجزء الأكبر من اهتمامهم وتفكيرهم فينسون ـ في خضم ذلك ـ أنَّ ما يسعون لتحقيقه ويجهدون أنفسهم لتحصيله لا يمثل في واقع الأمر سوى وسائل لتحقيق الهدف البعيد والغاية القصوى وهو تحقيق العبودية لله عز وجل في هذه الحياة الدنيا لكي ينالوا نعيم الحياة الآخرة.

ويقسم (الأصفهاني) الوظيفة أو الفعل (أو المهمة) التي اختص بها الإنسان إلى ثلاثة أمور هي[1] :

(١) ابوالقاسم حسين الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، تحقيق عبد المجيد النجار، دار القرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م ص ٩٠ .

١ ـ عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ (هود، ٩١) وذلك تحصيل ما به صلاح المعاش لنفسه ولغيره (فالعمارة والتعمير لصلاح المعاش في هذه الدنيا).

٢ ـ عبادته المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾** ﴾ (سورة الذاريات)، وذلك هو الامتثال للبارئ عز وجل في أوامره ونواهيه(واتباع هديه والاستقامة على أمره).

٣ ـ وخلافته المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ... **وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾** ﴾ (سورة الأعراف) وغيرها من الآيات وذلك هو الانقياد للبارئ سبحانه والاقتداء برسله على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة.

هذا وهناك من ينظر للغاية من خلق الإنسان من زاوية أخرى ـ لانرى باساً من إضافتها على ما ذكره الأصفهاني، حيث يميل البعض إلى أنَّ الغاية من خلق الإنسان حددتها الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ من نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾** ﴾(سورة الإنسان).

وهذا يعني أنَّ الغاية من خلق الإنسان بهذا التركيب العجيب من أخلاط مختلفة (من الصفات الجسدية والفكرية والنفسية) ابتلاؤه أي امتحانه واختباره. ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾** ﴾ (سورة الملك).

٣ ـ أن الإنسان مخلوق من عنصرين«جسد من طين» و«روح» متوازنين والروح من أمر الله تتجلى في الجسد فتحييه ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾** ﴾ (سورة الحجر). وينتج عن

اندماج الروح والبدن نفس تدبر هذا المخلوق وتعطيه وحدته وتكامله.

٤ ـ يترتب على الطبيعة الطينية للجسد وجود ميل طبيعي في النفس الإنسانية للأفراد وتجاوز الحدود سعياً وراء جثمان المحافظة على بقاء الإنسان واستمرار وجوده مما ينتج في النفس صفات «كنفاذ الصبر» والاستعجال لما ليس عندها، والشح والبخل بما عندها والبطر والفرح والعجب بما تراها تميزت به عن الآخرين والجزع واليأس والهلع عندما يفقده والمراء واللد في الخصومة إن تنازعته مع الغير وهكذا.

٥ ـ إذا ترك لتلك الصفات الفرصة لأن تعبر عن نفسها تعبيراً غير مقيد فإنَّها تصبح غير وظيفية disfunctional بمعنى أنها تتعارض مع متطلبات بقاء الإنسان في حياة اجتماعية تعاونية منظمة.

٦ ـ هنا يأتي دور الطبيعة«الروحية» للإنسان والتي تمثل عنصر ارتباط الإنسان بربه وخالقه والتي تقوم بمعادلة أو موازنة تلك الاتجاهات التجاوزية بما يعطي الإنسان قيمته الحقيقية كإنسان.

٧ ـ إنَّ الله تعالى سيرد الناس إلى معاد ويحاسبهم على ما استخلفهم فيه فيجازيهم على أعمالهم في حياة أخرى هي في التصور الإسلامي الحياة الحقيقية؛ أما الدنيا بكل ما فيها فهي دار ابتلاء واختبار في مدى ودرجة الالتزام بواجبات العبودية الحقة لله، فالإنسان الذي يقوم بالعبادة ـ التي من أجلها خلق ـ حق القيام فقد استكمل الإنسانية ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيواناً ودون الحيوان ـ كما وصف الله تعالى الكفار أنَّهم كالأنعام بل هم أضل ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة الفرقان).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ العبادة التي نعنيها هنا ليست تلك العبادة المقصودة على الشعائر التعبدية وإنما العبادة بالمفهوم الشامل في الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه كما هو منطوق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(سورة الأنعام)، وهو مفهوم تم اختزاله في واقع المسلمين اليوم، وانحسر تأثيره وفعله في هذا الواقع، ذلك أنَّ العبادة وفق المفهوم الشامل الصحيح في الرؤية الإسلامية ليست وقفاً على صلة العبد الفردية بربه وإنما هي كل جهد مبذول من أجل الله وطاعته فيما أمر أو نهى حتى ولو كان ذلك في عمارة الحياة.

٨ـ وأخيراً، فإنَّ التصور الإسلامي للإنسان يقرر بوضوح أنَّ محور الحياة الروحية للإنسان هو «القلب» الذي يمثل الرابط بين المعرفة والاعتقاد من جهة والسلوك والإرادة من جهة أخرى- فإذا قام القلب بوظيفته الروحية المتمثلة في معرفة الله عز وجل وحبه وعبادته وذكره وإيثار ذلك على كل شهوة سواه استقامت حياة الإنسان ككل تجاه سلوكه تمشياً مع ما يرضى خالقه وبارئه ومثل هذا الإنسان يحيا حياة طيبة ملؤها الطمأنينة والأمن والسكينة، ويعيش من حوله في راحة وأمان.

هذا عن الإنسانية وطبيعتها في ميزان الرؤية الإسلامية؛ أما عن الحياة، فلقد وضع الإسلام وحدد لها تصوراً عاماً وفريداً ينبثق من العقيدة ويهتدي بهديها، وفي ضوء هذا التصور يقدم منهجاً متميزا لسائر جوانب مجالات الحياة الإنسانية، فالإسلام عند المسلم عقيدة روحية ومذهبية اجتماعية ومنهاج يسلكه في أمور دينه ودنياه.

فالحياة في نظر الإسلام:

١ ـ هبة من الله ومنحة ربانية لا يملك التصرف فيها إلا واهبها سبحانه وتعالى. من أجل ذلك حرّم الإسلام قتل النفس وشدّد في ذلك، سواء أكان قتل نفس الإنسان بيده أم قتل النفس بالنفس لغيره من الناس. وفي السياق نفسه حكم العلماء قديماً وحديثاً بمنع وتحريم قتل المريض الميؤوس من شفائه(ما يسمى بالموت الرحيم) مهما كانت جسامة مرضه ومهما تقدمت درجة إشرافه على الموت المحقق والهلاك الواضح الظاهر[1]، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾ (سورة الحجر).

٢ ـ طبع الإنسان وجبل (فطر) في أصل خلقته على حب الحياة والتعلق بها وحب الخلود فيها، وحب أقدس رأس مال يملكه الإنسان على الإطلاق في هذا الوجود.

٣ ـ يترتب على ذلك أنَّ السلوك الانتحاري يناقض طبيعة الإنسان وفطرته من ناحية، ويعارض منهج الله الذي وصفه للإنسان في حياته الدنيا من ناحية أخرى، فالفرد لا يملك حق إنهاء حياته بنفسه لأنه ليس هو الذي أوجدها، قال تعالى: ﴿ ... **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾** ﴾(سورة النساء).

٤ ـ إنَّ الإنسان بمقتضى سنة الخالق في خلقه عرضة لكثير من المحن الكونية من موت بعد الحياة، ومرض بعد الصحة، وفقر بعد الغنى وذل بعد العزة، والإنسان أمام هذه المحن إذا ترك وما طبع فيه من

---

(١) نور الدين مختار الخامى، الاجتهاد المقاصدى، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج٢، العدد٦٦ ، السنة ١٨، رجب ١٤١٩هـ، ص ١٢٦.

تنازع الرغبات في نفسه ولم يشد أزره بإرشاد إلهي يؤمن به أثقل بعدله ويطمئن إليه ناء كاهله بعبء الحياة وخارت قوته وذاب احتماله وفقد استعداده للتواصل والاستمرار في الحياة.

٥ . ٣ موقف الإسلام من الانتحار

رأينا ـ فيما أسلفنا ـ كيف أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تقدم لنا تصوراً عن حقيقة الإنسان وجوهر الطبيعة الإنسانية بما يخالف سائر الأقوال والتفسيرات والمفاهيم الوضعية لحقيقة الإنسان من الحضارات والفلسفات والأديان الأخرى، وكيف أنَّ كل فرد من بني الإنسان مخلوق بالنفخة الإلهية الكريمة التي هي سر خلافة الإنسان لله في الأرض، وعلة سيادته على الكائنات الأرضية جميعاً والإنسان بها (نفخة الروح الإلهية) نسيج وحده، مخلوق فريد متميز لم يكن ملاكاً ثم انحط درجة، ولم يكن حيواناً ثم ارتقى درجة بالتطور ولكنه خلق أول ما خلق إنساناً كالذي نعرفه ونعايشه ولا شك.

كما أنَّ الحياة الإنسانية حياة نمائية هادفة تقوم على الابتلاء والاختبار وعلى تدافع المصالح والقوى الاجتماعية والفردية في نسق تتكامل عناصره كما تتكامل عناصر الطبيعة المادية.

إنَّ الإنسان في التصور الإسلامي له مكونات يشاركه فيها غيره من المخلوقات، ومكونات خاصة به ينفرد بها من بين سائر تلك المخلوقات، فهو مكون من جسم وعقل وروح وعواطف، الجسم خادم للعقل والروح، ومهمة الروح الاتصال بالخالق عز وجل والعقل هو القوة المفكرة التي يفتقدها المجنون؛ أما الغرائز فيشارك فيها الإنسان الحيوان، ولكن الإنسان

يتميز بعواطفه بحزن ويسر، ويتألم ويشرع ويحب ويكره والإنسان السوي هو الذي نمت مكوناته كافة نمواً متوازناً، وهو ما يحرص عليه المنهج الإسلامي، فالجسم ينمو بالرياضة والغذاء الحلال، والروح تنشط بفعل الخيرات وعبادة الله عز وجل، كما أنها تدل على الخير وتمكن الإنسان من التمييز بينه وبين الشر والتفريق بين الحق والباطل والعواطف تسمو وتهبط حسب سلوك الإنسان وتوجهاته.

وهكذا ـ وتأسيساً على ذلك كله ـ فإنَّ الإنسان كان متميزاً بأبعاد تشكل جوهر طبيعته الفريدة:

١ ـ بعد ذاتي جسماني (البنية المادية العضوية الفسيولوجية).

٢ ـ بعد نفسي عقلي وجداني تقوم عليه الشخصية الإنسانية في أبعادها العقلية والعاطفية.

٣ ـ بعد اجتماعي ويجد الإنسان فيه معنى وجوده ويحقق فيه كثيراً من فعالياته.

٤ ـ بعد فوقي روحي في إحساس الإنسان الباطن بوجود إلهٍ عظيمٍ هو رب العالمين.

فالجسم وعاء، والروح حارس، والعقل دليل، والروح تضبط علاقته بالله تعالى، والعقل يمدنا بالنافع والضار ويدلنا عليه، لكن الإنسان قد يعمد إلى ضار فيستعمله وإلى النافع فيهمله، وهنا يكون من مهمات الروح منعه من ذلك فهي الحارس الأمين، لكن الحارس قد يغفل والروح قد تضعف فيفقد الإنسان الرقابة كلياً أو جزئياً ويضل الطريق إلى تحقيق رسالته في الوجود ومهمته في الحياة ووظيفته في الكون بنفس الروح التي يفتقد بها تلك الرقابة. أما إذا تنبه الحارس وقويت الروح وتوقفت صلتها بخالقها،

وتفهم الإنسان دوره ورسالته ومهمته، ولماذا خلق بهذه الصورة وذاك التكوين، وكيف سخرت له كل الكائنات حوله انطلق من هذا المفهوم وما يستلزمه إلى ممارسة حقيقة وظيفته في هذا الوجود، وهنا تصبح الأمور على وجهها الصحيح فيسعد الإنسان ويسعد به من حوله بل وتسعد به الحياة[1].

٥ . ٣ . ١ حفظ النفس من أهم مقاصد الشريعة

ذكرنا فيما سبق كيف أنَّ علماء الأصول قسموا مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام هي: الضروريات والحاجيات والتحسينات. فالضروريات هي أصل المصالح، والحاجيات تتمة لها، والتحسينات تكملة للحاجيات[2]، وبينوا أنَّ الضروريات هي مالا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد. ومجموع الضروريات كما حددها علماء الأصول خمس هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل وحفظ المال. ولقد اتفقت الملل والشرائع على وجوب المحافظة عليها.

وحفظ الضروريات إنما يكون كما ذكر (الشاطبي) بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

ثانيهما: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[3].

---

(١) أبو اليزيد العجمي، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، سلسلة دعوة الحق، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، العدد٢٢، مكة المكرمة، أكتوبر ١٩٨٣م، ص ٧.

(٢) أبو إسحاق الشاطبى، مرجع سبق ذكره، ص٨.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

وما دمنا بصدد الحديث عن موقف الإسلام من الانتحار وما دام الانتحار هو في حقيقته قتل للنفس، فنحن إذاً أمام واحدة من تلك الضروريات التي لا تستقيم الحياة بدونها وهي« حفظ النفس» التي لا تتحقق ـ كما أوضح الشاطبى ـ إلا بأمرين[1]:

٥ . ٣ . ٢حفظ النفس من جانب الوجود

وذلك عن طريق :

١ ـ تحديد المسؤولية قبل وجود الإنسان نطفة في الرحم، فلقد وضع الله تعالى من التشريعات التي تكفل للإنسان وجوداً سليماً، واستمراراً بعيداً عن الأخطار في ظل حياة محاطة بالرعاية والعناية في جميع أطواره وأحواله(مثل أحكام الزواج والنفقة والرضاعة والحضانة) هذه التشريعات المقصود منها تحقيق حفظ النفس منذ بدء خلقها إلى أن يبلغ أشده ويستطيع الاعتماد على نفسه في تحصيل مطالب الحياة.

٢ ـ الثانية بيان الحلال والحرام: فعندما يصل الإنسان إلى مرحلة يصير فيها مكلفاً مسئولاً أمام الله تعالى سيجد ما قد وضع له من الأحكام والقواعد والمبادىء التي تهديه سواء السبيل في تحصيل مصالح الآخرة ومطالب الدنيا ومنافعها.

٥ . ٣ . ٣ حفظ النفس من جانب العدم

وذلك من خلال :

١ ـ تحريم الاعتداء على النفس والأعضاء، حيث حرم الله الاعتداء على النفس بغير الحق، عدّ هذا الفعل من أعظم المفاسد على ظهر الأرض ومن أكبر الكبائر وأنكر المنكرات بعد الكفر بالله تعالى.

(١) عفاف إبراهيم الدباغ ، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٥٩- . ٢٦٠ .

٢ ـ العقوبة الدنيوية، حيث رتبت الشريعة العقوبات المناسبة لكل فعل فجعلت من يقتل متعمداً في أعلى درجات الجزاء وهو القتل ورتبت على القتل الخطأ بعض العقوبات التي تجعل الإنسان يراعي في تصرفاته وأفعاله الحكمة واليقظة وترفع عنه التساهل وعدم الحيطة حتى لا يؤدي إهماله إلى إتلاف نفوس الناس وأعضائهم.

وهكذا وضع الإسلام الحدود والقيود والضوابط والموانع التي تكفل المحافظة على النفس باعتبارها واجباً من ضرورات الوجود الإنساني، فحرم قتل النفس بغير حق: قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الإسراء).

والسلطان هنا هو القصاص كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ... ﴿١٧٨﴾** ﴾ (سورة البقرة). هذا عند القتل العمد؛ أما قتل الخطأ، فقد أوجب الإسلام الدية والكفارة على قاتل النفس خطأ، قال تعالى: ﴿ **... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا ... ﴿٩٢﴾** ﴾ (سورة النساء).

وهكذا، فإنَّ قتل النفس بغير حق تعدّ لحدود الله. وإذا كان قتل نفس الغير محرماً ـ إلى الدرجة التي رأيناها ـ فقتل القاتل نفسه أشد حرمة عند الله عز وجل.

وهكذا فإن التعاليم الإسلامية فيها زجر تام ووعيد شديد وتخويف من خيار الانتحار وما يؤل إليه مصير الإنسان الذي يقدم عليه، فبدلاً من

كونه نوعاً من الراحة والخلاص في خيال من يقوم به، نجد أنَّ التصور الديني يجعله مصيراً مخيفاً يخلد المنتحر في جهنم ويعذب والوسيلة نفسها التي استعملها في إنهاء حياته بالانتحار.

وهذا التصور وحده يعكس المنظومة الانتحارية برمتها ويوصد باب الخيار الانتحاري تماماً أمام الإنسان.

ففي الحديث الشريف: «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة» (متفق عليه)[1]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ قال القرطبي، وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد حين أجنب في غزوة « ذات السلاسل» خوفاً على نفسه منه فأقرَّ النبي احتجاجه وضحك عنده ولم يقل شيئاً.

وفي صحيح البخاري[2] عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فجزها بيده فما رقأ الدم حتى مات» فهذا رجل جزع من الجرح وضجر وفر من الألم والأذى الذي لحق به فلم يصبر فتعجل وقتل نفسه ليخلصها من الم الدنيا فكان جزاؤه أنْ حرم الله عليه الجنة على اختلاف بين العلماء في تفسير هذا التحريم أهو أبدي أم لا.

والأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا الملف كثيرة كقوله(كما في الصحيحين) الذي يخنق نفسه يخنقها في النار والذي يطعن نفسه يطعنها في النار.

---

(١) صحيح البخاري، ٢٢٤٧/ ٥، صحيح مسلم ١٠٣/ ١، صحيح ابن حبان ٣٢٥/ ١٣.

(٢) صحيح البخاري، ١٢٧٥/ ٣، صحيح ابن حبان ٣٢٨/ ١٣.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشرع الحنيف نهى عما هو أقل من قتل النفس حين نرى كيف أنَّ الشرع نهى عن مجرد تمني الموت، فمجرد أنْ يتمنى الإنسان الموت لقد نزل به أمر ينهى عنه شرعاً ومحرماً شرعاً، فكيف لمن يقدم على الانتحار وقتل نفسه بسبب ضر نزل به، جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان ولابد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي»[1].

وروى النبي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب»[2].

هذا هو الموقف الإسلامي الحاسم والجازم من مسألة قتل النفس والذي كان له أكبر الأثر في انخفاض معدلات الانتحار في الدول الإسلامية بوجه عام.

الانتحار هو قتل الإنسان نفسه بنفسه وإزهاق روحه بيده وهذا غاية في الشذوذ والانحراف، وفوق هذا كان الانتحار فراراً من مواجهة الحياة ودليلاً على اليأس من رحمة الله.

بل إنّ بعض العلماء ذهب إلى أنَّ المنتحر لا يصلَّى عليه لأنه لا توبة له ولقد روى الترمذي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل قتل نفسه بمشاقص (جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض) فلم يصل عليه قال الترمزي هذا حديث حسن.

---

(١) صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٦٤، صحيح البخاري، ٢١٤٦ـ٢٣٣٧/ ٥

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٢٤، صحيح ابن حبان، ٢٦٧/ ٧.

وإنْ كان الأمام مالك يقول: يصلَّى على من قتل نفسه وإثمه على نفسه ويصنع ما يصنع بموتى المسلمين، وعندما سئل عن امرأة خنقت نفسها قال صلوا عليها وإثمها على نفسها.

٥ . ٤ المنهج الوقائي الإسلامي من الانتحار

تعد الوقاية معلماً أساسياً ومنهجاً محورياً من معالم التشريع الإسلامي؛ من أجل ذلك شدد الإسلام ـ كما أسلفنا ـ في وضع الضوابط التي من شأنها صيانة الضرورات الخمس (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال) ووقايتها من الأضرار التي تلحق بها وفي مقدمة هذه الضوابط القاعدة الفقهية التي تقرر أنَّ «رفع الضرر مقدم على جلب المنفعة»، أو بعبارة أخرى: درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة وهي قاعدة وقائية صرفة وخالصة، بل إنَّ هذه القاعدة تلخص مفهوم الوقاية في الإسلام تلخيصاً بليغاً. إذ ليست الوقاية في حقيقتها وجوهرها سوى وسيلة لدفع الضرر المتوقع عن الفرد والمجتمع وجلب المنفعة لهما دنيا وآخرة[1].

ولذلك جعل التشريع الإسلامي الكثير من الأحكام والتعاليم والآداب التي تستهدف وقاية الإنسان (الفرد والمجتمع) من جميع الأمراض والأدواء النفسية والعضوية والاجتماعية، ومن شتى صنوف الممارسات الضارة، سواء الدين أو النفس أو العقل أو النسل أو المال، وذلك من خلال منظومة متكاملة من القيم الدينية التي تشكل سياجا يحمي ويحافظ على تلك

---

(١) أحمد محمد كنعان، المنهج الوقائي في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مجلد ٢٨، العدد الأول، يوليو/ سبتمبر ١٩٩٩م، ص ١١ .

الضرورات . ويقصد بالقيم الدينية تلك القيم المنبثقة من العقيدة المتكاملة التي يتحرك بها المسلم في مجال الحياة عابداً لربه ومجاهداً في سبيله وساعياً في الخيرات بإذنه ، وهذه العقيدة نابعة من إيمان عميق وثيق الصلة بالله لايتزعزع ، وثقة تامة في عدله وقضائه ، وتصديق شامل بكتبه ورسله ومعرفة يقينية وتصديق جازم باليوم الآخر[1] .

ويؤكد (قطب) على حاجة الإنسان الملحة إلى تلك العقيدة قائلا : إنَّ الإنسان هو الإنسان منذ نشأ في حاجة ماسة إلى عقيدة تعمر قلبه وتفسر له الحياة وتربط بينه وبينها برباط قوي متين وتشغله بما هو أبعد من شخصه وأكبر من ذاته على نحو من الاتحاد[2] .

إنَّ العقيدة الإسلامية الراسخة تكون زاداً للإنسان في رحلة الحياة ، ووجاء له من الوقوع في المحظور (أياً كان هذا المحظور) وعضداً له في مواجهة مشكلات الحياة وضغوطها وخطوبها ، وهي تحرر الإنسان من الخوف من غير الله وتقيم سلوكه على الحق والعدل وتشعره يقينا بعون الله الدائم ورعايته المستمرة ، ومن ثم لا يشعر باليأس أو القنوط بل تكون نفسه راضية مرضية :

١ ـ وإذا كان الإنسان لا يقدم على الانتحار إلا بعد أنَّ يصل إلى حالة من اليأس والقنوط لا مجال معها للتراجع عن الإقدام على أنْ ينهي حياته بيده فإنَّ القرآن الكريم يعلمنا أنَّ الإسلام عالج اليأس والقنوط ، وأن العقيدة الإسلامية تملأ قلب المؤمن رجاء في الله وأملا في عونه ورحمته . قال تعالى : ﴿ ... **وَلا تَيْأَسُوا من رَّوْحِ اللَّه إِنَّهُ لا يَيْأَسُ من رَّوْحِ اللَّه إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ** ﴿٨٧﴾ ﴾ (سورة يوسف) .

---

(١) توفيق محمد سبع : قيم حضارية في الإسلام ، مجمع البحوث الإسلامية ، السنة الرابعة ، العدد٢٥ ، القاهرة جـ٢ ، يوليو ١٩٨٣ ، ص١٩٥ .

(٢) سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ٢٢ .

وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ من رَّحْمَةِ رَبِّه إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ (سورة الحجر).

وقال تعالى: ﴿...لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ اللَّه إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعًا...﴿٥٣﴾﴾(سورة الزمر).

٢ ـ وإذا كانت الحياة في منظور الإسلام هي دار إبتلاء واختبار وامتحان وكد وتعب وشقاء، فإنَّ الإسلام قد وضع المنهج ورسم الطريق الذيِّ من خلاله يمكن للإنسان أنْ يواجه جميع الكروب والصعوبات والابتلاءات والمشاكل.

قال تعالى﴿وَاسْتَعينُوا بالصَّبْر وَالصَّلاة وَإِنَّهَا لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشعينَ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة البَقرة).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَعينُوا بالصَّبْر وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابرينَ ﴿١٥٣﴾﴾ (سورة البقرة).

وقال عز من قائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بشَيْء مّنَ الْخَوْف وَالْجُوع وَنَقْص مّنَ الأَمْوَال وَالأَنفُس وَالثَّمَرَات وَبَشّر الصَّابرينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مّصيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للَّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئكَ عَلَيْهمْ صَلَوَاتٌ مّن رَّبّهمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (سورة البقرة).

وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوَالكُمْ وَأَنفُسكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ منَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ من قَبْلكُمْ وَمنَ الَّذينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثيرًا وَإِن تَصْبرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلكَ منْ عَزْم الأُمُور ﴿١٨٦﴾﴾(سورة آل عمران).

وقوله تعالى: ﴿...إِنَّهُ مَن يَتَّق وَيَصْبرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسنينَ ﴿٩٠﴾﴾ (سورة يوسف). والآيات في هذا الباب كثيرة يصعب حصرها.

٣ ـ وفي الحديث : (ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلفني خيراً منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها)، يقول ابن القيم في كتابه القيم : «زاد المعاد» : هذه الحكمة (إنا لله وإنا إليه راجعون) من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وأجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته .

أ ـ إنَّ العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعل الله ذلك عند العبد عارية فإذا أخذه منه كان كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وهو متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي لا تصرف المالك، ولهذا لا يباح من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي .

ب ـ إنَّ مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولابد أنَّ يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته، فكيف يفرح بمولود أو ييأس على مفقود[1] .

٤ ـ أنْ يعلم الإنسان إذا أصابه هم أو غم أو كرب أو مصيبة أو بلاء في هذه الحياة ـ علم اليقين الذي لا يتزعزع أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وتلك هي عقيدة القضاء والقدر التي إذا تمكنت من قلب المؤمن كان قادراً على أنْ يواجه شدائد الدنيا

---

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنووط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ٣, ١٩٨٦ ، ص١٣١ .

بإيمان قوي وعزيمة لا تلين وصبر جميل، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الحديد).

٥ ـ أنْ ينظر الإنسان المبتلى إلى ما أصيب به ويدقق النظر متدبراً له متأملاً فيه فسيجد أنَّ ربه عز وجل قد أبقى عليه مثل ما أصيب به أو أفضل منه، وادخر له إنْ صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء تعالى لجعلها أعظم مما هي.

٦ ـ أنْ يطفىء نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة وليعطف عن يساره فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو نظر إلى العالم لم ير فيه إلا مبتلى إما بفقدان محبوب أو حصول مكروه وأنَّ شرور الدنيا كأحلام نوم أو كظل زائل إنْ أضحكت قليلاً أبكت كثيرا وإنَّ سرت يوماً ساءت دهراً وإنْ متعت قليلاً منعت طويلاً[1].

٧ ـ وكم في كتب الحديث من أحاديث يصعب حصرها ترسم للإنسان الطريق السوي لمواجهة الكوارث والابتلاءات والمصائب التي لا بد له من مواجهتها في هذه الحياة. وتعلم المؤمن الكثير من ألوان الدعاء والابتهال عند مواجهة الكروب. من مثل قوله ﷺ إذا حزبه أمر: «ياحي يا قيوم برحمتك استغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين. أنت ولي في الدنيا والآخرة. توفني مسلماً وألحقني بالصالحين» (جامع الترمذي عن أنس رضي الله

(١) ابن قيم الجوزية، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٣.

عنه)، وقوله ﷺ لأسماء بنت عميس ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب أو في الكرب: « الله ربي لا أشرك به شيئاً» (سنن أبي داوود) وفي رواية أنَّها تقال سبع مرات. وهكذا يوصد الإسلام في وجه المؤمن أبواب اليأس والقنوط وتفتح أمامه أبواب الأمل في رحمة الله والرجاء في الكربات مهما اشتدت، وأنَّ الله قادر على كل شيء حين يعجز البشر، وأنَّ الدنيا إنما هي دار ابتلاء واختبار، وأنَّ الصبر والرضا فضيلتان جزاؤهما الجنة، وأنْ لا شيء يحدث عبثاً في هذه الدنيا بل كل شيء يدور في هذا الكون ويقع بمراد الله وحكمته.

وإنَّ الله الذي منح الإنسان هذه النفس هو وحده الذي يقرر متى يقبضها جل جلاله.

ومن هنا رأينا أنَّ العقيدة الراسخة والإيمان القوى بالله عز وجل يلعب دوراً رادعاً لمنع الانتحار، وردع الإنسان عن السلوك الانتحاري تفكيراً فيه، أو تهديداً به، أو شروعاً فيه أو محاولةً له أو تنفيذاً للانتحار إلى أنْ يتحقق الموت. يقول (عباس) إنّ مهمتنا أسهل مع المؤمنين بالله ولديهم الدين عند محاولتنا تثنيتهم عن محاولاتهم الانتحارية وعند إقناعهم بضرورة الحياة وحلاوتها[1].

ذلك أنَّ حالة التدين الصحيح لدى الإنسان، والعقيدة السليمة الراسخة تعطيه دعماً روحياً واجتماعياً يجعله لا يسقط فريسة لمشاعر اليأس والقنوط، بل تمنحه حالة من الرضا بقضاء الله وقدره تجعله يتقبل إحباطاته ومعاناته بدرجة أفضل كثيراً من غير المؤمنين المتدينين، وتعطيه أملاً في انفراج الأزمة مهما اشتد حصارها.

---

(١) أحمد عباس، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.

الفصل السادس

الإطار التصوري المقترح
للتخطيط التكاملي لمواجهة الانتحار

٦ . الإطار التصوري المقترح للتخطيط التكاملي لمواجهة الانتحار

تمهيـــد

رأينا كيف أنَّ ظاهرة الانتحار اليوم تعد ظاهرة معقدة الأبعاد والجوانب ومتشعبة العناصر، ذات أسباب ودوافع وعوامل متداخلة ومتفاعلة، سواء كانت تلك العوامل ذاتية أو بيئية، وإذا كان الانتحار إلى وقت قريب ينظر إليه على أنَّه مشكلة محلية تقع في نطاق بيئة معينة ومجتمع معين وظروف معينة دون أنْ تتأثر بعوامل خارج هذه البيئة، إلا أنَّ ما يشهده العالم اليوم من ثورة في مجال الاتصال والمعلومات جعل لهذه المشكلة بعداً عالمياً من خلال ما تلعبه شبكة المعلومات (الانترنت) من دور في الترويج للانتحار وما تنتجه من فرص التواصل بين الشباب وتبادل الخبرات والمعلومات في هذا الصدد، وما تنقله من أفكار وآراء وفلسفات وممارسات متصلة بظاهرة الانتحار.

ومن هنا فإنَّ الطريقة المثلى لمواجهة ظاهرة الانتحار والتصدي لها (وقاية وعلاجاً) والعمل على حماية المجتمع من الآثار المدمرة لها والحد من المخاطر والأضرار المترتبة عليها سواء على الفرد أو الأسرة أو المجتمع، كل ذلك إنّما يتأتى بالمواجهة الشاملة والمتكاملة من قبل جميع أفراد المجتمع بأنظمته وأنساقه بل ويمتد الأمر إلى ضرورة تحقيق نوع من التعاون الإقليمي والدولي المثمر والبناء إزاء هذه الظاهرة الخطيرة من خلال الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية.

ولعل الأسلوب المفيد في تلك المواجهة إنَّما يتمثل في أسلوب التخطيط الشامل والمتكامل في إطار سياسة اجتماعية وقائية متواصلة الأبعاد تتوافر لها كل عوامل النجاح ومقوماته ، ذلك التخطيط المبنى على معطيات ونتائج علمية توفرها العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والبحوث والدراسات الميدانية التي تجرى في مختلف البيئات حول تلك الظاهرة .

هذا ، ونقدم فيما يلي تصوراً يعتمد على ا لتخطيط المتكامل لمواجهة ظاهرة الانتحار في مجتمعاتنا العربية والإسلامية والحد من انتشارها واختزال آثارها الخطيرة والمدمرة .

ويستند هذا القصور على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تتمثل فيما يلي :

١ ـ التكامل والشمول في التفاعل مع ظاهرة الانتحار بمختلف جوانبها وأبعادها وما دامت مشكلة الانتحار ظاهرة ذات طبيعة خاصة ومعقدة ، ولكونها نتاجاً للعديد من العوامل المرتبطة والمتفاعلة معاً ، فنحن في حاجة ماسة إلى أساليب حديثة قوامها التكامل والشمول لمواجهتها ، وكما أنَّ قضية الانتحار تمثل موضوعاً بحثياً مشتركاً ما بين العديد من التخصصات العلمية ، كذلك فإنَّ التصدي لها يمثل مهمة مشتركة تقع على عاتق المجتمع بأسره وتتحمل مسؤوليتها كافة الأنظمة الاجتماعية وجميع الأجهزة الحكومية والأهلية ، وتستلزم تضافر جميع الجهود التشريعية والتربوية والإعلامية والبحثية والخدمية وجهود المواطنين كافة .

كما أنَّ الأخذ بمبدأ التكامل يقتضي التأكيد على ضرورة الربط بين استراتيجية التصدي لظاهرة الانتحار وبين خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظامية بجميع أبعادها

وميادينها الرامية إلى إحداث نقلة نوعية للحياة في المجتمع بحيث تأتي تلك الجهود التنموية بصورة متوازنة تحدث تغييراً نوعياً في البيئة الاجتماعية والظروف الحياتية متفادية الانعكاسات السلبية المولدة للإجرام عموماً ولظاهرة الانتحار على وجه الخصوص.

٢ ـ إنَّ المحور الديني والعقدي والقيمي هو الأساس الذي يرتكز عليه وينطلق منه التصور المقترح لمواجهة ظاهرة الانتحار، إذ يقوم هذا التصور على اعتماد المنظور الإسلامي كأساس لتفسير الظاهرة استناداً إلى الخصوصية الحضارية للمجتمعات العربية الإسلامية، واعتماد الجانب العقدي الإيماني كمحور رئيس تدور حوله جميع أشكال وصور المواجهة والتصدي لما له من تأثير بالغ في هذا الصدد.

٣ ـ يعطي هذا التصور وزناً خاصاً وأهمية خاصة للسياسة الوقائية في المواجهة نظراً لأنها السبيل الأمثل لتطويق تلك الظاهرة، وسد الأبواب أمام الاختيار الانتحاري وذلك من خلال التأثير في مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية.

٤ ـ إنَّ هذا التصور بما يتضمنه من أبعاد متعددة إنَّما يوجه اهتمامه إلى جميع الفئات والمستويات والأعمار غير أنّه يعطي وزناً خاصاً للمرحلة العمرية التي تتراوح بين ١٥ـ٤٠ سنة، وذلك لأهمية هذه المرحلة وخطورتها من جهة ولما أكدته الدراسات الميدانية من أنَّ معدلات الانتحار بين أفراد تلك المرحلة العمرية أكثر من المراحل الأخرى.

٦ .١ أبعاد التصور المقترح للتخطيط التكاملي لمواجهة ظاهرة الانتحار

٦ .١ .١ البعد الديني كمحور أساس

إنَّ البعد الديني العقائدي ينبغي أنْ يعد المدخل الأساس في سياسات الوقاية والمكافحة والعلاج لظاهرة الانتحار في مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وذلك يستند إلى عدة أسباب نذكر منها:

١ ـ أن تأكيدنا على أهمية البعد الديني إنَّما يتأسس في المقام الأول على ما أكده العديد من العلماء والباحثين والمفكرين من أنَّ ضعف الوازع الديني من شأنه أنْ يجعل الفرد فريسة للأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تؤدي إلى الانحرافات المختلفة والتي من بينها الإقدام على الانتحار أو محاولته.

٢ ـ إنَّ الاعتقاد (العقيدة الصحيحة) يحقق للإنسان أهدافاً بعيدة، على رأسها رضى الله أو السعي إلى رضاه وبالتالي سيشكل حتماً مانعاً ذاتياً عن قتل النفس مهما تدهورت الحالة الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى النفسية، ذلك أنَّ الإنسان إذا ما صحت عقيدته وحسنت عبادته فإنّه يعرف غاية حياته الحقيقية وعمله، ويعرف دوره في هذه الحياة ورسالته في هذا الكون وهو يعمل لما بعد الموت، يرجو رحمة الله تعالى ويخشى عذابه، وهو في علاقة تقويمية مستمرة مع نفسه يحاسبها ويعدل من مسار حياته ليفوز بالسعادة الدائمة قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الملك).

وقال جل جلاله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ (سورة الكهف). فالعقيدة الصحيحة والدين القويم هو الحصن الأهم في مواجهة السلوك الانتحاري والحد من معدلاته المتزايدة.

٣ـ إنَّ للإسلام منهجه المميز والواقعي في مواجهة هذه الظاهرة والتصدي لها وتقويم سلوك الإنسان وذلك من خلال:

أ ـ الاهتمام بغرس وتنمية الوازع الديني في نفوس الأفراد وإيقاظ ضمائرهم التي تشكل ضوابط داخلية تحكم سلوك المسلم وتوجهه الوجهة المتفقة مع متطلبات الشرع وضوابطه.

ب ـ أسلوب الردع والجزاء الذي يقوم عليه النظام الجنائي الإسلامي، وذلك بتوقيع العقوبات المناسبة على أولئك الذين يثبت أنهم حاولوا الانتحار وفشلوا فيه، أو أولئك الذين يشاركون في بث الأفكار التي تشجع على الانتحار أو تمجِّده أو تدعو إليه.

وحين نقول إنَّ البعد الديني العقدي يشكل المحور الجوهري في مواجهة الظاهرة، إنما نعنى أنَّ هذا البعد ينبغي أنْ يكون ماثلاً واضحاً في الأبعاد الأخرى كافة للمواجهة، بنائية كانت أو وقائية أو علاجية، وذلك من خلال:

١ ـ انطلاق جميع هذه الأبعاد ومن التصور الإسلامي المتميز للإنسان والحياة والمجتمع والكون، وأن تتأسس كل السياسات والخطط والبرامج وتبني وتصميم على أساس هذا التصور المنفرد والمنطلق من افتراضاته ومسلماته.

٢ ـ أنْ ترتكز هذه الأبعاد على الاهتمام بإشاعة قيم التدين بين جميع الفئات والأعمار، والتمسك بتعاليم الإسلام بين الأفراد والجماعات في شتى مجالات الحياة الإنسانية، وأنْ تهتم بالتوعية الدينية وتنمية الوعي الإسلامي، وإعداد الإنسان المتكامل الذي يتوافق سلوكه مع إيمانه وعقيدته من أجل تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد وصلته النفسية والتزامه بالضوابط الدينية والمعايير الاجتماعية التي تقل من السلوك الانحرافي في المجتمع.

إنَّ الإسلام يعطي صورة شاملة متكاملة للحياة السعيدة الطيبة في الدنيا والآخرة فإذا ما أخذ بها الناس في أي مجتمع استطاعوا أنْ يقوا المجتمع شرور الانحراف من السلوك الانتحاري، ويمكن أنْ نشير إلى هنا باختصار إلى بعض جوانب تلك الصورة التي تستهدف تحقيق الحياة السعيدة البعيدة عن الضلال والشقاء والانحراف على النحو التالي:

أ ـ بناء وتأسيس الإنسان الصالح المصلح(الصالح في نفسه المصلح لغيره) عقدياً وفكرياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً مع مراعاة التوازن المطلوب بين مكونات الشخصية الإنسانية كافة.

ب ـ هداية الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها وهي الإسلام والإيمان والتوحيد، وأن تأتي جميع الجهود التربوية والتعليمية في إطار تنمية تلك الفطرة ونبذ كل ما من شأنه أنْ ينحرف بها. ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾**﴾(سورة الروم).

جـ ـ بناء الأسرة الصالحة وتأسيسها على قيم الإسلام ومبادئه تلك الأسرة التي تلعب دوراً حيوياً في بناء الإنسان، وهدايته إلى فطرته السليمة.

د- التحذير الشديد من اتباع الأهواء التي من شأنها أنَّ تقتل الإنسان وتجعله فريسة للانحراف السلوكي والعقدي، ﴿ ...وَمَنْ أَضَلُّ ممَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغَيْر هُدًى مّنَ اللَّه إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة القَصَص).

هـ- التحذير من اتباع الشيطان، الذي هو عدو مبين للإنسان كما أخبر القرآن ﴿ إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخذُوهُ عَدُوًّا إنَّمَا يَدْعُو حزْبَهُ ليَكُونُوا منْ أَصْحَاب السَّعير ﴿٦﴾ ﴾ (سورة فاطر)، والذي يعد الإنسان بالفقر ويأمر بالفَحشاء والانحراف عن الهدى ﴿ الشَّيْطَانُ يَعدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بالْفَحْشَاء ... ﴿٢٦٨﴾ ﴾ (سورة البقرة)، ويوقع بين الناس العداوة والبغضاء ﴿ إنَّمَا يُريدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ في الخَمْر وَالْمَيْسر ... ﴿٩١﴾ ﴾(سورة المائدة).

و- بناء ضمير الإنسان المسلم على محبة الله ورسوله لتثمر تلك المحبة اتباعاً لمنهج الله وسنة رسوله.

ز- تشييد المجتمع الصالح القائم على قيم مبادئ الإسلام وبخاصة قيم العدالة والإنصاف، فالعدالة تقضي على الشعور بالظلم الذي يوقع بعض الأفراد في اليأس والقنوط.

حـ- بناء العلاقات بين الناس على الأخوة والمحبة والإيثار والإصلاح في المجتمع.

وصفوة القول أن المحور الديني يعد بمثابة حجر الزاوية الذي تنطلق منه وتتشكل على أساسه مختلف الأبعاد والمحاور الأخرى للتصور المقترح للتعامل مع ظاهرة الانتحار وتحقيق أهداف المجتمع في الوقاية منها. وفيما يلي عرض للأبعاد والمحاور الذي ينطلق منها هذا التصور المقترح:

ـ بعد التخطيط التربوي

وهو البعد الذي يمثل حجر الزاوية في أية سياسات أو خطط تستهدف التعامل مع ظاهرة الانتحار، على أنْ يكون واضحاً هنا. إنَّ التربية المطلوبة والمقصودة هي تلك التربية التي تنطلق من التصور الإسلامي أي التربية الإسلامية بشمولها وتكاملها وتوازنها وأصالتها.

ولا شك أنَّ المؤسسات المحورية في عملية التربية هي الأسرة والمدرسة وتؤكد دراسات الأمم المتحدة حول التحولات الاجتماعية الحاصلة في العالم وعلاقتها باتجاهات الجريمة على أنَّ الدور الأساس الذي تلعبه الأسرة والمدرسة في تكوين الشخصية الإنسانية السليمة، وعلى وجوب تحسين أوضاع الأسرة والمدرسة والاهتمام بهما بحيث تصبح هاتان المؤسستان قادرتين على القيام بوظيفيهما الاجتماعية الكاملة [1].

ويهدف المجتمع الإسلامي إلى بناء وتنمية الفرد المسلم الذي يعمل لدنياه كأنه يعيشه أبداً ويعمل لآخرته كأنّه يموت غداً، والذي يتمتع بالإرادة القوية التي توضح له دروب الخير وتدفعه إلى انتهاجها وتبعده عن مهاوي الهلاك والضلال، والذي يؤمن بالعقيدة الحقة ويعمل على العيش في سلام ووئام وانسجام مع نفسه ومن يعول ومع جيرانه وأهله وعشيرته ومع سائر الموجودات في هذا الكون.

والتربية الإسلامية التي نعنيها هي تلك التربية التي تسعى إلى تعميق وإرساء المبادئ والقيم الأخلاقية، والالتزام بالضوابط النفسية والاجتماعية

---

(1)Report on the Second M.N.Survey on Crime Trends Operation of Crimical Justice and Crime Presentations Strategy, 1985.

وترسم خطى النمو الديني في مدارج العمر من أجل صحة الفرد النفسية التي تتمثل في سعيه المتكامل في الحياة دون انحراف أو ضلال.

هذا وتنبع أهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في بناء الشخصية الإسلامية من العوامل التالية[1]:

١ ـ أن الأسرة هي الكيان الاجتماعي الأول الذي يوجد به الفرد ومن ثم فهي المحصن الأول له والذي من خلاله يكتسب شخصيته الاجتماعية التي تميزه عن غيره من الناس.

٢ ـ الأسرة هي خط الدفاع الأول ضد الانحراف والجريمة وذلك من خلال تربية أبنائها وتعليمهم ماهية السلوكيات الاجتماعية المقبولة وغير المقبولة.

٣ـ الأسرة هي التي تلبي حاجات الفرد الجسمية والنفسية والاجتماعية ولفترة زمنية طويلة تتخللها أخطر المراحل في حياة الفرد وهي مرحلتا الطفولة والمراهقة.

٤ ـ يشكل أفراد الأسرة (الأب والأم والإخوة وغيرهم) نماذج حية للسلوك الاجتماعي الذي يتعلمه الفرد، ومن خلال اختلاطه بهم وتقليده إياهم يكتسب كثيراً من السلوكيات السوية أو المنحرفة. ولذا تعدَّ القدوة الحسنة من العوامل المهمة في بناء شخصية الفرد، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾**﴾ (سورة الطور).

---

(١) مساعد بن إبراهيم الحديثى، مبادئ علم الاجتماع الجنائي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ص١٢٢-١٢٣.

٥ ـ تبدأ غالبية الانحرافات السلوكية لدى الفرد في سن المراهقة وهو بعد لا يزال تحت رعاية الأسرة وسيطرتها، ولذلك تقع عليها مسؤولية عظيمة فيما يتعلق بالضبط الاجتماعي للسلوك ومراقبة سلوك الأبناء من التعرف على أقرانهم وأصدقائهم وإرشادهم إلى تحري حسن الاختيار للأقران والأصدقاء ومتابعة ما يطرأ عليهم من تغيرات سلوكية.

ولقد أعطى الإسلام جل اهتمامه للأسرة ودورها الحيوي في بناء الإنسان وتنشئته تنشئة صالحة سوية، وأكد الإسلام على تأسيس الأسرة منذ اللحظات الأولى لتكوينها(الزواج) على الأسس الشرعية التي حددها الإسلام في آيات القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك، فإنّ أي جهود تبذل في سبيل التخطيط الشمولي لبرامج رعاية الأسرة وتوعيتها وتوجيهها وإرشادها وتوفير الضمانات كافة التي تؤهلها للقيام بدورها في هذا الصدد، كل ذلك من شأنه أنْ يجعل دور الأسرة أكثر فعالية في وقاية الأبناء من شرور مشكلة الانتحار، وتوفير المناخ الأسري السليم الإيجابي والبناء الذي يقلل من احتمالات وقوع أفرادها فريسة لهذه المشكلة.

وذلك من خلال:

١ ـ التربية الإسلامية لأبناء الأسرة وأعضائها تلك التربية التي تتأسس على ترسيخ العقيدة الصحيحة، والإيمان بالله وحده الذي هو مالك النفس الإنسانية ودوافعها.

٢ ـ التدريب على التزام التوجيهات الإسلامية في مواجهة المحن والمشاكل والمواقف الصعبة بالصبر والصلاة إذ فيهما تتحقق الرغائب وتدفع النوائب.

٣ـ اتباع الأساليب التي تحد من التفكك العائلي، والبعد عن الممارسات الضارة في محيط الأسرة كالعنف ضد الزوجة، والعنف ضد الأطفال، والبعد عن الظلم والقهر، وتوفير المناخ الأسري القائم على المودة والرحمة والتعاون والانسجام.

٤ـ العناية بالأطفال وتحصينهم ضد الوقوع فريسة للسلوك الانتحاري، سواء في مرحلة الطفولة أو في المراحل التالية لها. ولقد أوضحت بعض الدراسات أنَّ هناك إجراءات وأساليب يمكن اتباعها مع الأطفال في هذا الصدد يمكن إيجازها فيما يلي[1]:

أ ـ تربية الطفل وتعليمه معنى الحب (بمعناه الشامل) الذي يشمل حب الحياة وحب المجتمع وحب الآخرين.

ب ـ تعليم الطفل الحقوق والواجبات، حقوقه على أسرته ومجتمعه وواجباته ازاءهما.

جـ ـ تربية الطفل على مواجهة وتحمل ألوان الإحباط[2] التي تواجهه وتدريبه على تجاوزها.

د ـ تعليم الأطفال المعنى الحقيقي للشعور بالذنب إذْ أن الشعور بالذنب يعد دافعاً قويا ليس فقط للإقدام على الانتحار، وإنما أيضاً لظهور أمراض عقلية خطيرة مثل البارانويا paranoia.

هـ ـ إبعاد الأطفال عن مصادر التوتر والقلق وبؤر الصراعات في الأسرة والمجتمع.

---

(١) العفيفى، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) الإحباط: هو الشعور المتولد نتيجة منع رغبة أو حاجة عن أن تتحقق أو تشبع، وله صور متعددة وكلها تسبب قدراً من الضيق والتوتر لدى الأطفال.

و- اكتشاف وعلاج حالات الاكتئاب ومقدماتها في مرحلة الطفولة فإن ذلك من شأنه أنْ يمنع تكوين أعراض لاحقة أشد خطورة في المستقبل.

ز- تقوية فكرة المرء عن نفسه في سن الطفولة، والثقة بالذات واحترامها والقدرة على مواجهة الأزمات والمواقف الطارئة بحكمة وفهم ووعى.

حـ- تبصير الطفل لمعايير الخطأ والصواب والحق والباطل.

وأخيراً، فإن للأسرة دورها الأساس في بناء الإنسان وتنميته بحيث يكون شخصية مسلمة واعية قادرة على التفكير العلمي المتزن واتخاذ القرارات السليمة في المواقف المختلفة ورفض الأساليب المرنة لمعالجة المشكلات.

كما أنَّ للأسرة دورها في توجيه أبنائها إلى حسن اختيار أصدقائهم ورفاقهم ممن تتوافر فيهم السمات الإيجابية والبعد عن الممارسات والأفكار المنحرفة، وتبصير الأبناء بخطورة بعض المواقع على الانترنت، وخاصة تلك التي تروج لأفكار شاذة حول الانتحار والترغيب فيه.

وينتقل الحديث ضمن هذا البعد التربوي بعد الأسرة إلى المدرسة التي تشكل النواة الاجتماعية الثانية لما لها من دور مهم في تنشئة الأجيال الصاعدة بالعلم والثقافة والتربية السليمة التي توفرها لهم، ولكي تكون المدرسة بمستوى رسالتها، يجب أنْ تقوم على أسس صحيحة من حيث البنية التعليمية والتربوية، ويقصد بها الجهاز المادي والبشري والعلمي بحيث تصبح قادرة على تنشئة الأجيال الصاعدة تنشئة صالحة ليواجهوا متطلبات الحياة العصرية على المستويات والأصعدة كافة.

وفي هذا الإطار نشير إلى الاعتبارات التالية :

١ ـ أنْ تكون رسالة التعليم تكملة لرسالة الأسرة ومتجانسة معها ومعضدة لها .

٢ ـ تشكل البرامج التعليمية الشاملة والفعالة جزءاً ضرورياً من تدابير الحد من معدلات الانتحار ، وأنْ تؤسس هذه البرامج على ترسيخ العقيدة الصحيحة وتجلية موقف الإسلام من قضية الانتحار وقدسية النفس الإنسانية وقيمة الحياة التي هي هبة خالصة من الله تعالى ولا يملك حق التصرف فيها إلا واهبها جل جلاله ، وأنْ تتضمن تلك البرامج الأبعاد الأساسية للتصور الإسلامي للإنسان والحياة والمجتمع والكون بأسره .

٣ ـ الاهتمام بالتربية الإسلامية كعامل أساس في تكوين نفسية سوية قوية مؤمنة متعاونة على الخير مؤمنة بالفضيلة محاربة للرذيلة مدينة للانحراف .

إنَّ التربية الإسلامية في آفاقها الإنسانية هي عماد أية استراتيجية تربوية صالحة لمجتمعاتنا ، تلك التربية التي تجسد قيم الإسلام الحقيقية وتعبر عن سمو النظرة الإسلامية في مجال العلاقات الاجتماعية وفي مجال السلوك والتعامل والحقوق والواجبات .

ومن ثم ، فلا بد أنْ يوجه نظام التعليم من خلال التخطيط التربوي توجيها يؤدي إلى تربية الشعور الإيماني في نفوس الناشئة ويربي فيهم الشعور بالانتماء إلى عقيدة (هي الإسلام) وأمة(هي الأمة الإسلامية التي هي خير آمة أخرجت للناس) ووطن (هو المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه) .

وكل ما قيل عن التربية الإسلامية في مجال التعليم المدرسي ينسحب على التعليم الجامعي الذي ينبغي أنْ يعتني بالثقافة الإسلامية من خلال البرامج الدراسية والأنشطة الطلابية، والندوات الدينية التي تستهدف إذكاء الوعي لدى الطلاب بقضية الانتحار وخطورتها وكيفية تجنبها والحد منها.

ومن هنا، ينبغي أنْ يلعب الإرشاد الطلابي في المدارس والإرشاد الأكاديمي في الجامعات دوراً مهماً في هذا الصدد.

٦ . ٢ . ٢ بعد التخطيط الإعلامي

يحتل البعد الإعلامي في مواجهة مشكلة الانتحار مكاناً بارزاً بين الأبعاد الأخرى كافة، وتأتي أهمية الإعلام من تعاظم دوره في مساندة جميع الجهود التربوية والصحية والاجتماعية والقانونية في وقاية الفرد والمجتمع من مشكلة الانتحار وآثارها، حيث تصل وسائل الإعلام إلى قطاع عريض من الجمهور كل يوم وبصفة مستمرة. هذا وتقوم التوعية الإعلامية الهادفة بدور مهم في نشر المعلومات والحقائق ذات الأهمية في الوقاية من المشاكل الاجتماعية الحيوية وعلاجها، ومن هنا فإنَّ البعد الإعلامي في التخطيط التكاملي لمواجهة ظاهرة الانتحار إنما يهدف إلى:

توفير الوعي الشامل بالمشكلة وجوانبها وأبعادها وحجمها، وتوفير تغطية شاملة لغالبية المواطنين من أجل تكوين رأي عام يحمل اتجاهات قوية مضادة لقضية الانتحار بشكل عام، ولا شك أنَّ للكلمة والصورة قوة لا يستهان بها في هذا الشأن، فالكلمة بما لها من قوة بناءة تستطيع أنْ تقنع الإنسان يوماً بعد يوم بالامتناع عن الاتجاه نحو السلوك الانتحاري، وتدخل الكلمة في مختلف أساليب التربية والتنشئة والتهذيب والتعليم والإصلاح والتوجيه والتبصير.

وتأتي أهمية الإعلام[1] من كونه يشارك مشاركة جوهرية في تشكيل الرأي العام عن طريق تعبئة القوى الفكرية والمعنوية للمجتمع تجاه الأفكار والمبادئ والمواقف والقضايا التي تخدم الأهداف العامة والمصالح العليا للوطن.

ويقوم الإعلام المعاصر بدور بارز مهم في التأثير على سلوك الناس وتعديل أفكارهم واتجاهاتهم وقيمهم، وتوعية أفراد المجتمع بالمخاطر التي تحيط بهم وبمجتمعهم وتربيتهم على القيم والمعايير الإيجابية التي ارتضاها مجتمعهم، والتي تعد حجر الزاوية لحماية المجتمع من الشرور الوافدة من المجتمعات الأخرى، وكذلك تلك المشكلات الناشئة بسبب التغييرات السريعة المتلاحقة التي تمر بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

والإعلام في المنظور الإسلامي يستهدف أولاً وقبل كل شيء بناء الإنسان المسلم ليؤدي رسالته في الوجود ومهمته في الكون التي من أجلها خلقه الله تعالى من عبادة الله وحده، وعمارة الكون وأداء الأمانة، والقيام بمهام الاستخلاف ومسؤولياته، ومواجهة صنوف الابتلاء كافة، التي يتعرض لها في هذه الحياة.

ولا شك أنَّ أي استثمار يغفل الإنسان ويتجاهل عقله وروحه وآراءه (أي يتجاهل الطبيعية الإنسانية) هو استثمار لا قيمة له ولا جدوى من ورائه

---

(١) يعرف الإعلام بأنه يزود الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات أو قضية من القضايا التي تهم المجتمع أو قطاعا منه بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم وآمالهم.
انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام دائرة على وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥م، ص٤٠.

لأنَّ البشر هم المكون الأساس في بناء الأمم، وبسواعدهم تنهض وبعقولهم وأرواحهم يمكن الانتصار في المعارك وتجاوز الصعاب والتغلب على المشكلات واقتحام التحديات وبناء الحضارات[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ التخطيط الإعلامي لمواجهة ظاهرة الانتحار ينبغي أنْ يراعي الخصوصية الذاتية الحضارية والسكانية للمجتمعات العربية الإسلامية، وأنْ تكون البرامج نابعة من الواقع الاجتماعي والثقافي لهذه المجتمعات، والبعد عن البرامج والمواد المستوردة من بيئات ومجتمعات أخرى تخالف أنساقنا القيمة ومحملة بالاتجاهات السالبة نحو السلوك الانحرافي والممارسات التي أثبتت الدراسات العلمية أنَّها يمكن أنْ تقود إليه، مثل:

١ ـ الحرية الفوضوية التي تصور للإنسان أنَّه حر يفعل ما يشاء دونما ضابط أو رادع من خارج الإنسان ذاته.

٢ ـ الشذوذ الجنسي (الجنسية المثلية) حيث تثبت من بعض الدراسات أنَّ الانتحار بين المراهقين يرجع أحياناً إلى مشاعر لواطية واعية أو مكبوتة[2].

٣ ـ الإدمان على تعاطي المخدرات والكحوليات والعقاقير.

٤ ـ الانحرافات الجنسية والعلاقات غير الشرعية وجرائم الاغتصاب، حيث تبين أنَّها يمكن أنَّ تؤدي إلى السلوك الانتحاري.

---

(١) محيي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد٦٤، السنة ١٨، ربيع الأول ١٤١٩هـ، ص ص١٩٢ـ ١٩٣.

(٢) ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، ص ٨٣.

وينبغي أن تسعى وسائل الإعلام إلى تأصيل القيم الإسلامية وترسيخها في حياة الناس والمجتمعات وتنمية الوازع الديني في نفوس الأفراد حتى يسهموا بشكل فاعل في الحد من السلوك الانتحاري.

ونظراً للطبيعة المعقدة لظاهرة الانتحار فإنَّ الأمر يتطلب اعتماد التخطيط الإعلامي على أسلوب العمل الفريقي تخطيطاً وتنفيذاً، وذلك عن طريق تشكيل لجان تضم مجموعات من الخبراء متعددي التخصصات (في العلوم الشرعية، والطب، الطب النفسي، وعلم النفس، والاجتماع الخدمة الاجتماعية، والقانون، والاقتصاد، والسياسة... الخ) على أنْ تقدم لوسائل الإعلام الخبرة والمشورة، وتراجع الموادّ الإعلامية التي تقدمها هذه الوسائل والعمل على التوصل إلى مجموعة من القواعد والضوابط والتعليمات التي ينبغي الالتزام بها من قبل أجهزة الإعلام المختلفة في هذا الخصوص.

وأخيراً، فإن من المناسب الإشارة إلى أنَّ الحملات الإعلامية الموجهة في إطار معالجة ظاهرة الانتحار ينبغي أن تقوم على أساس علمي مخطط ومدروس وهادف وبناء يتوخى تحقيق الجوانب التالية:

أ- اختيار المادة الإعلامية المناسبة شكلاً ومضموناً.

ب- أن تنبثق تلك المواد من منظومة القيم الإسلامية مع مراعاة موقف الأفراد من تلك القيم، ومدى تبنيهم لها وأساليب حياتهم وأنماط سلوكهم.

جـ- أنْ تكون المعلومات الموجهة في هذا الصدد جديرة بالتصديق والثقة من قبل الأفراد المستهدفين.

د- التفرقة بين التوعية والوعظ، إذ إن التوعية تهدف مباشرة إلى تعديل سلوك الأفراد والجماعات إزاء موضوع التوعية وكذلك تعديل اتجاهاتهم.

وفي ختام هذا البعد، نود التأكيد على أنَّ السياسة الإعلامية المطلوبة للتصدي لظاهرة الانتحار، وما يتم في إطارها من خطط للبرامج لن تؤتي ثمارها إلا إذا كانت مصحوبة بخطة اجتماعية عامة تهدف إلى إحداث تغييرات جوهرية وحقيقية بالواقع الاجتماعي الاقتصادي الفعلي للجماهير، والتي تنشأ عن الظروف والأوضاع المهيأة للانتحار كانعدام العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وانتشار الفقر والتميز العنصري والطبقي بين فئات المجتمع، وانتشار البطالة وعدم توافر فرص العمل الملائم. وغيرها من الظروف والأوضاع.

كما تجدر الإشارة إلى أنَّ بعض الدراسات العلمية أثبتت أنْ نظرة المجتمع إلى المرض النفسي» لها علاقة بالانتحار والسلوك الانتحاري سلباً أو إيجاباً، حيث ينظر إليه على أنه وصمة عار في جبين ضحاياه(المرض النفسي)[1] وهذا يتطلب أن يتضمن الحملات الإعلامية الموجهة للحد من ظاهرة الانتحار جانباً مهماً يستهدف التوعية والتثقيف الصحي حول طبيعة المرض النفسي وحقيقته، وكيف أنه ما هو إلا خلل في تركيب الإنسان وتربيته بينه وبين نفسه أو بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه، وأن علاج المرض النفسي ومساعدة المريض حتى بالكلمة الحسنة خير معين وأنجع دواء.

---

(١) عبد الحكيم العفيفي، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١ .

٦ . ١ . ٣ بعد التخطيط البحثي

لعل من نافلة القول التأكيد على أنَّ البحث العلمي أصبح اليوم من المقومات الأساسية للسياسات والخطط الوقائية الحديثة في مجال الجريمة بوجه عام وبالتالي، فلابد من إعطائه الوزن المناسب بين أبعاد هذه السياسات والخطط التي ينبغي أنْ توضع وتصمم بالاستناد إلى المعطيات والنتائج العلمية الواقعية الدقيقة التي توفرها البحوث النظرية والميدانية التي تمت وتتم حول ظاهرة الانتحار بمختلف عناصرها وأبعادها، وذلك حتى يأتي العمل الوقائي والعلاجي متوافقاً مع المتطلبات الواقعية التي تظهرها تلك الدراسات والبحوث، الأمر الذي يضمن أن تأتي تلك السياسات والخطط بصورة علمية صحيحة مما يضمن نجاحها وفاعليتها.

وفي هذا الصدد نود التأكيد على مجموعة من الملاحظات أهمها:

١ ـ ما سبق أنْ ألمحنا إليه عند تناولنا للنظريات المفسرة لظاهرة الانتحار من أنَّه لم يتم الاتفاق حتى الآن على أساس نظري موحد ومقنع لتفسير ظاهرة الانتحار بجوانبها المختلفة وأبعادها المتشعبة وتحديد العوامل الدافعة لهذه الظاهرة وتزايد معدلاتها في مجتمعاتنا العربية.

٢ ـ إنَّ مناهج البحث المستخدمة في دراسة الظاهرة لم تكن من الشمول بحيث تغطي كافة العوامل والمؤثرات كافة، وفي الوقت نفسه تسمح بالتعمق في فهم خصوصية الشخصية الانتحارية وسماتها وخصائصها.

٣ ـ إنَّ هناك العديد من الصعوبات والإشكاليات المنهجية التي تهدد جدوى تلك البحوث والدراسات الميدانية لظاهرة الانتحار ولعل

أهم تلك الصعوبات وأقواها تأثيراً أنَّ صاحب المشكلة (في حالات الانتحار الفعلي) والمصدر الأساس للمعلومات المتعلقة بالمشكلة يكون قد فارق الدنيا، وبالتالي ليس أمام الباحثين سوى الاعتماد على المصادر الأخرى في استيفاء المعلومات الضرورية للتعرف على الظروف والملابسات والعوامل والدوافع المتسببة في الانتحار، كالأهل والأسرة، و الإعلام، والمخالطين له وتأتي صعوبة تفسير ظاهرة الانتحار ومعرفة العوامل المسببة لها وتفاعلها لتجعل الموقف البحثي أكثر تأزماً، ناهيك عن صعوبة وضع التصورات المناسبة بشأن أساليب الوقاية والعلاج بالأسلوب التقليدي.

هذا ويتضمن هذا ا لبعد في التصور المقترح لإنجاز المهام التالية:

١ ـ الاهتمام بالتخطيط للبحوث والدراسات الميدانية حول ظاهرة الانتحار على أنْ تستهدف هذه البحوث في المقام الأول رصد الظاهرة وتحديد حجمها على المستويات الوطنية والعربية والإسلامية وتوزعها ومواطن انتشارها، ومعدلات تزايدها، وهوية الذين يقومون على الانتحار ومواصفاتهم وخصائصهم النفسية والاجتماعية والبيئية التي انحدروا منها والظروف التي أحاطت بهم، كما ينبغي أنْ تشمل البحوث الجوانب الطبية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فكل هذه الجوانب وما يتعلق بها من حقائق ومعلومات هي في واقع الأمر مهمة وضرورية للتخطيط الوقائي والعلاجي للظاهرة، و بدونها لا يمكن وضع استراتيجية عمل محددة الأهداف والوسائل.

٢ ـ لما كان هناك بعض الاتجاهات والنظريات الحديثة التي لا يوافق أصحابها على أنَّ للانتحار دينميات نفسية خاصة أو أنَّ شخصيات

معينة تكون أكثر عرضة للانتحار، ولما كان أصحاب تلك الاتجاهات يميلون إلى أننا يمكن أنْ نتعلم الكثير عن ظاهرة الانتحار والسلوك الانتحاري وديناميّاته بشكل مباشر من خلال تخيلات الأشخاص الذين قاموا بالانتحار لما سوف يحدث لهم إذا هم أقدموا على ذلك، فإنَّ الاهتمام بدراسة الوثائق والخطابات والوصايا التي يتركها المنتحرون خلفهم يمكن أن يفيدنا كثيراً في هذا الصدد، خاصة إذا علمنا أنَّ بعض الدراسات تشير إلى أنَّ ٨٠٪ من المنتحرين يتركون خطابات وملاحظات لذويهم بعد انتحارهم.

٣ـ أنْ تتجه بعض الأبحاث والدراسات المتعلقة بقضية الانتحار نحو تصميم المقاييس والاختبارات للاتجاه نحو الانتحار، وذلك ليتسنى تطبيق هذه المقاييس والاختبارات على الأشخاص المشتبه بهم المهددون بالانتحار حتى يمكن اكتشاف الحالات التي من المحتمل (هناك احتمالات قوية) أن يقدموا على الانتحار واتخاذ الإجراءات كافة التي تمنع وصول هذه الحالات إلى الإقدام على الانتحار، سواء كانت تلك الإجراءات وقائية أو علاجية أو تستهدف تعديل تلك الاتجاهات وتكوين البصيرة.

هذا، و وإنْ كان هناك من يقول إنَّ من الصعب التنبؤ بالانتحار ومن ثم من الصعب منع هؤلاء، ولكن، كما رأينا، فإن هناك علامات يمكن أن تشير إلى نزوع أو اتجاه أو احتمال الإقدام على الانتحار.

٤ ـ إثارة اهتمام الباحثين بالجوانب المفقودة في ظاهرة الانتحار وخاصة علامات الانتحار والخصائص النفسية والاجتماعية للأفراد الذين يقدمون على السلوك الانتحاري.

٥ ـ الاهتمام بإجراء دراسات مسحية لتقويم مستوى الصحة النفسية للطلاب والموظفين والعاملين خاصة من الفئات الاجتماعية من ذوي الدخول المنخفضة والتركيز على دراسة الميول الانتحارية لديهم.

٦ ـ إنشاء مراكز بالجامعات وكليات الآداب والخدمة الاجتماعية والطب لدراسة الجوانب المختلفة لظاهرة الانتحار.

٧ ـ الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات التي تستهدف الوصول إلى الحقائق العلمية التي يمكن الاستناد عليها في وضع سياسة قوية للدفاع الاجتماعي[1] تكفل حماية المجتمع والأفراد من الوقوع في السلوك الإجرامي بعامة والانتحار بخاصة.

نقول هذا، وفي يقيننا أنَّ مشكلة الانتحار لم تصل بعد في مجتمعاتنا الإسلامية إلى المستوى والمعدل اللذين هي عليهما في المجتمعات الغربية بفضل الله تعالى، إلا أنَّ هذا لا يمنعنا من التأكيد على أنَّ بعض الوقائع والملابسات أصبحت تشكل قلقاً لدى العلماء وصناع القرار على السواء الأمر الذي يستدعي إجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية المتعمقة حول تلك القضية وأسبابها، وعوامل انتشارها، والآثار المترتبة عليها، وكيفية الوقاية منها ومواجهتها من قبل الفعاليات كافة في المجتمع المسلم.

٨ ـ إعادة النظر في طرق وأساليب التسجيل الإحصائي لوقائع الشروع في الانتحار بما يضمن الدقة في حصر وتسجيلها تلك الحالات، وتتيح توفر وتراكم إحصاءات وبيانات تعزز الجهود المبذولة في

---

(١) تقوم حركة الدفاع الاحتمالي social defence على اعتبار أن الكفاح ضد ظاهرة الإجرام من الواجبات الأساسية التي تقع على عاتق المجتمع، وأهمية اللجوء إلى مختلف الوسائل والإجراءات للإقلال من تلك الظاهرة سواء قبل وقوع الجريمة أم بعد ارتكابها. ولا تهدف هذه الوسائل إلى مجرد حماية المجتمع ضد المجرمين وإنما تتعدى ذلك إلى استهداف حماية أعضاء هذا المجتمع من خطر الوقوع في الجريمة.

الدراسات الميدانية لتحليل الظاهرة، ذلك لأنَّ التكامل بين الدراسات الميدانية والإحصاءات الرسمية هو الأسلوب العملي والعملي في مواجهة مشكلة الانتحار أو المشكلات الاجتماعية.

٦ . ١ . ٤ بعد التخطيط الخدمي والرعائي

ينجلي البعد الخدمي والرعائي في توفير جميع الخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية والدينية لأفراد المجتمع وجماعاته، وخاصة تلك الفئات التي تتزايد فيها معدلات الانتحار (كالمراهقين والشباب والمسنين والعاطلين . . إلخ)، تلك الخدمات التي تطلع بها المؤسسات والهيئات الحكومية والأهلية القائمة أو التي يمكن إقامتها لتحقيق هذا الهدف.

ويتضمن هذا البعد بالنسبة لقضية الانتحار الجوانب التالية:

١ ـ الاهتمام بإنشاء مراكز للإسعاف الفوري لحالات الشروع في الانتحار أو محاولات الانتحار الفاشلة. تقوم هذه المراكز على أسلوب العمل الفريقي بحيث تضم في أعضائها أطباء، وأطباء نفسيين، وعلماء نفس، وممرضات زائرات صحيات، وأخصائيين اجتماعيين . . . الخ.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ المجتمعات المتقدمة أولت هذا الأمر اهتماماً خاصاً، إذ يوجد في أمريكا وحدها حالياً ما يزيد على ٣٠٠ مركز من هذه المراكز قامت بفحص أكثر من ربع مليون شخص. وتتمثل مهام تلك المراكز في: برامج التدخل السريع في الأزمات المرتبطة بقضية الانتحار، البرامج الوقائية المستمرة، وبرامج المتابعة الوقائية.

٢ ـ الاهتمام بإنشاء وتدعيم مراكز علاج الآلام للتخفيف من الآلام المزمنة التي يتعرض لها بعض المرضى بالراحة المزمنة، وذلك لقطع الطريق أمام هؤلاء المرضى عن التفكير في الإقدام على الانتحار لما يقاسونه من آلام مبرحة قد لا يصبرون على تحملها.

٣ ـ الاهتمام بإنشاء جمعيات خيرية تطوعية لمكافحة الانتحار والتعامل مع الحالات الانتحارية بالأسلوب العلمي المتقدم.

٤ ـ إنشاء خطوط ساخنة مخصصة لتلقى المكالمات الهاتفية من الأفراد ذوي الميول الانتحارية أو أفراد أسرهم أو زملائهم في العمل أو أصدقائهم وذلك بغرض تقديم المشورة الفنية اللازمة والدعم النفسي والاجتماعي لهؤلاء الأفراد، وإحالتهم إلى المؤسسات الملائمة لعلاجهم نفسياً واجتماعياً، والتي يتوافر فيها الأخصائيون النفسيون والاجتماعيون.

٥ ـ أن يقوم الأخصائيون الاجتماعيون العاملون بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة المنتشرة في المجتمع باكتشاف الحالات المعرضة للانتحار وتقديم العون اللازم لها، وذلك في شتى مجالات الممارسة المهنية كالمستشفيات والمصانع والمدارس والجامعات ومؤسسات الأحداث والسجون ودور المسنين . . . إلخ.

٦ ـ العناية بالمسنين والشيوخ المعرضين للوحدة والعزلة والمرض من خلال الجمعيات الخيرية والعيادات الطبية المتخصصة ومؤسسات رعاية المسنين كما تشير إلى الاهتمام المركّز بالمتقاعدين الذين يتعرضون إلى أفكار الموت بعد تقاعدهم عن العمل، وتوفير فرص العمل الملائمة لهم وزيادة جرعة الترفيه والترويح والبرامج والأنشطة الاجتماعية.

ـ الخدمة الاجتماعية ودورها في هذا المجال

تعرف مهنة الخدمة الاجتماعية بأنها : العلم التطبيقي لمساعدة الناس على تحقيق مستوى فعال من الأداء الاجتماعي النفسي والتأثير في التغيرات المجتمعية لتعزيز الرفاهية لجميع الناس[١] ويتحدد مضمون الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في تدخلها المهني من خلال مؤسسات الخدمة والرعاية الاجتماعية والبرامج المختلفة لخدمات الرعاية الاجتماعية، سواء كانت وقائية أو بنائية أو علاجية، وذلك لمواجهة مشكلة ما أو لإحداث تغيير مقصود ومخطط في الظروف الاجتماعية[٢].

هذا ويمكن لمهمة الخدمة الاجتماعية باعتبارها واحدة من مهن المساعدة الإنسانية أنْ تسهم في جهود الوقاية والعلاج لمشكلة الانتحار من خلال العمل الفريقي وبالتعاون مع التخصصات العلمية والمهنية الأخرى كافة وذلك عن طريق :

١ ـ تدعيم عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد من خلال تدعيم النسق القيمي والنماذج السلوكية الإيجابية في المجتمع، والعمل على إيجاد الشخصية الإنسانية المتوازنة.

٢ ـ لما كانت الخدمة الاجتماعية تهتم بتكيف الفرد مع الإطار الاجتماعي الجديد والتغيرات التي تحدث في المجتمع ونظمه لإحداث التنمية وتعمل على مساعدة الفرد على تفعيل تلك التغيرات وتدعيمها

---

(1)Robert L. Basker, "The Social Work Dictionary, 3rd ed. (Washington, DC: NASW press, 1995) p. 357.

(2)Armando Morales, Brad Fard and w. sheafor, Social Work: A Profession of Many faces, Sth.ed, (Boston Allyn and bacon, , 1989)p:23. .

والتوافق الاجتماعي مع وقائع المجتمع، مما يدعم انتماء الفرد للمجتمع وعدم شعوره بالعزلة والاغتراب، فإنها يمكن أنْ تلعب دوراً مهماً في الوقاية من الانحرافات والانتحار خاصة. فالانتحار يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمشاعر الاغتراب والعزلة والوحدة والانسحاب من المجتمع.

٣ـ المساهمة في إجراء البحوث والدراسات النظرية الميدانية حول دوافع الانتحار والظروف المهيئة له وخصائص المقدمين عليه وسماتهم.

٤ ـ تقديم برامج الرعاية المتكاملة لأسرة المنتحرين، سواء كانت رعاية نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية وما تتضمنه من مساعدات مالية ومعنوية لمواجهة ظروف غياب المنتحر خاصة إذا كان المنتحر هو العائل للأسرة كما تعمل على التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على الانتحار والتقليل من الوصمة الاجتماعية التي تصيب أفراد الأسرة جراء انتحار أحد أفرادها.

٥ ـ ملاحظة ومراقبة الحالات ذات الميول الانتحارية والتي يمكن أن تقدم على الانتحار في المجالات المتعددة التي تمارس فيها الخدمة الاجتماعية.

٦ ـ تصميم برامج للتدخل المهني مع الحالات التي تفشل في الانتحار للتعامل معهم باستخدام الأدوات والأساليب الفنية والمهارات التي يمكن أنْ تثنيهم عن عزمهم على الانتحار وتعدل اتجاهاتهم.

٦ . ١ . ٥ بعد التخطيط التشريعي

فيما يتعلق بظاهرة الإجرام عموماً، فإنَّ التشريع الجزائي ما زال يعدّ الدرع الواقي من الانحراف والإجرام بما يحمله من مفعول تحريمي وعقابي رادع، وذلك انطلاقاً من الاعتقاد السائد بأن التجريم يوصم المواطن بوصمة إجرامية يتحاشاها عادة لما يلحق به من عار وخزي بين أقرانه وأهله ومعارفه، كما أنَّ العقوبة في ذاتها أمر مكروه من الإنسان لما تحمله له من تكدير وأذى وحرمان من الحرية وعزل عن المجتمع وما سيتبع ذلك من احتقار وازدراء له[1].

أما إذا كان الحديث عن الانتحار باعتباره نوعاً خاصاً من أنواع السلوك الإجرامي فإنَّ القانون والتشريع لم يثبتا فعاليتهما في منع الانتحار، وهذا أمر طبيعي إذ أنَّ أقصى ما يمكن أنْ يصل إليه التشريع العقابي كعقوبة على فعل ما هو (الإعدام) و المنتحر يقدم على إعدام نفسه بنفسه، وبالتالي فلن يقيم لأي تشريع أو قانون وزناً أو اعتباراً يمنعه من الإقدام على الانتحار، إلا أنَّ القانون والتشريع يفيد في حالات كثيرة من الوقاية والحد من هذه الظاهرة ومن تلك الحالات:

١ ـ ردع المحرضين على الانتحار والمروجين للأفكار التي تشجع عليه وذلك بتشديد العقوبة على مثل هذه الأفعال التي من شأنها تحريض المراهقين والشباب على الإقدام على الانتحار.

٢ ـ ردع الشارعين في الانتحار ولا يقصدون الموت الحقيقي لأي سبب من الأسباب كلفت الأنظار وجلب اهتمام الآخرين.

ونظراً وللطبيعة الخاصة لجريمة الانتحار، فإنَّه يمكن القول إنْ الوقاية من الانتحار هو خارج النطاق القانوني ومن اختصاص رجال الاجتماع والأطباء

---

(١) مصطفى العوجى، الاتجاهات الحديثة للوقاية من الجريمة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٧هـ، ص٥٤.

النفسيين وعلماء النفس والمتخصصين في الخدمة الاجتماعية ورجال الدين والفكر.

ويمكن في هذا التعبير الإشارة إلى ضرورة استحداث مواد قانونية تلزم الجهات الصحية والقضائية والشرطية بتحويل الحالات الانتحارية إلى مراكز العلاج النفسي المتخصص أو مستشفيات الأمراض العقلية حيث تتوافر فرص الدراسة والتشخيص لتلك الحالات وعلاجها.

ولقد مر بنا كيف أنَّ القانون والدراسات القانونية الحديثة اعتبرت الانتحار سلوكاً مضاداً للمجتمع، وأصبح القانون الذي يجرم الفعل الانتحاري قانوناً للدفاع الاجتماعي.

٦ . ١ . ٦ بعد التخطيط العلاجي والتأهيلي

يعدّ العلاج من الناحية المنطقية خطوة لاحقة للوقاية وليست سابقة عليها، فعندما تكون هناك سياسيات للوقاية المتكاملة البناءة تقل الجهود المبذولة نحو العلاج، وكلما ازدادت وكثفت الجهود المبذولة نحو العلاج دل ذلك على قصور سياسات الوقاية وضياع الجهود الموجهة من المسؤولين عنها.

ورغم أنَّ الأبعاد السابقة جميعها وقائية، وتشكل جوهر السياسة الوقائية لمكافحة مشكلة الانتحار، إلا أنَّ ذلك لا يعني إغفال البعد العلاجي التأهيلي، خاصة بالنسبة لما يلي:

١ ـ الذين سبق لهم القيام بمحاولة أو أكثر للانتحار ولم ينجحوا فيها.

٢ ـ أولئك الذين لديهم ميول انتحارية أو تظهر عليهم علامات ترجح إمكانية إقدامهم على الانتحار في وقت ما.

٣ ـ الأفراد المرتبطون بالشخص المنتحر كالزوجة أو الزوج والأبناء والإخوة والآباء والأمهات، والذين يحتاجون إلى المعونة العلاجية والتأهيلية لما يقع عليهم من آثار نتيجة هذا الفعل.

والعلاج الذي نعنيه هنا هو العلاج النفسي والطبي والاجتماعي من خلال العمل الفريقي.

كما تنسحب الجهود العلاجية هنا أيضاً على المشكلات التي أثبتت الدراسات والبحوث العلمية أنَّ لها صلة بالإقدام على الانتحار، كالإدمان على العقاقير والمخدرات والكحوليات، ومرضى الاكتئاب من الأمراض النفسية والعقلية، والشذوذ الجنسي، وعته الشيخوخة إلى غير ذلك من أمراض ومشكلات مختلفة ومتنوعة.

إنَّ محاولات الانتحار يجب أنْ تؤخذ بكامل الحذر والحرص والحيطة من المحيطين بالشخصية التي تهدد بالانتحار، فلقد أوصت الدراسات أنَّ ٩٥٪ من المنتحرين يحاولون الانتحار عدة مرات قبل الإقدام بالفعل على التنفيذ[١]، كما أنَّ الشخص المنتحر يعطي عادة ما يمكن أنَّ نطلق عليه «تحذيرات» بأنَّه على وشك «يرغب» أن ينهي حياته، ولكنه ليس راغباً حقيقة بالانتحار وهذا هو السبب في أنَّ الانتحار يسمى عادة (صرخة للمساعدة)، وهي الحقيقة التي أدت إلى إنشاء المئات من مراكز الوقاية من الانتحار في الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الصناعية.

وتشير (شارلوت روس) Charlotte Ross، مديرة المركز القومي لانتحار الشباب بمدينة واشنطن إلى أنَّ الانتحار يمكن أنْ يكن متعة، وذلك أنَّ الشخص الذي يفكر في قتل نفسه عادة، ما تظهر عليه علامات تحذيرية مثل:

الاكتئاب أو القلق أو الغضب أو العداوة، ولذلك فإن معرفة دلالات هذه العلامات يمكن أنْ ينقذ حياة شخص ما[٢].

---

(١) العفيفي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

الخاتمـــة

نود الإشارة في خاتمة هذا البحث إلى أنَّ « ظاهرة الانتحار » أضحت في عالمنا المعاصر من الظواهر التي يمكن وصفها بالخطيرة والمهمة، إذ إنها تتعلق بأثمن شيء يملكه الإنسان وهو روحه ونفسه التي هي هبة الخالق له جل جلاله.

ورأينا كيف أنَّ مشكلة الانتحار مشكلة متعددة الجوانب والأبعاد بحيث يصعب أنَّ تلم أبعادها كافة في هذا الجهد المتواضع، فلا شك أنَّ هناك جوانب أخرى عدا تلك التي تعرضنا لها هنا ينبغي أنْ تنال اهتمام الباحثين والمشتغلين بالعلوم الإجرامية والسلوكية ومهن المساعدة الإنسانية.

ولعل أهم ما أبرزته الدراسة الراهنة يتمثل في أمرين:

الأول: اتجاهات تفسير مشكلة الانتحار تعددت وتشعبت طبقاً للعديد من المتغيرات، وبالتالي أصبح لدينا أكثر من تفسير واحد، ومن ثم تعددت العوامل والأسباب الكامنة وراء ظاهرة الانتحار، فإنَّ الأمر الذي أكدت عليه هذه الدراسة أنَّه مهما سلمنا بتعدد العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تدفع إلى السلوك الانتحاري، إلا أنَّ الخواء الروحي وضعف الوازع الديني يشكل العامل الأهم في هذا الصدد، وأية عوامل أخرى إنَّما تكون عوامل ثانوية أو مساعدة في ظل وجود هذه العوامل.

الثاني: هذه الدراسة كشفت عن وزن المحور الديني الذي ينبغي أنْ يكون هو الأساس الذي تنطلق منه وتؤسس عليه جميع السياسات والخطط والبرامج الوقائية والعلاجية تمشياً مع ما ذكرناه في البند(أولاً) وتمشياً أيضاً مع الخصوصية الحضارية للمجتمعات الإسلامية.

وبعد فإن الكمال لله وحده، فهذا جهد المقل أسأل الله أنْ ينفع به وأستغفره لما كان فيه من خطأ أو زلل.

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم، أحمد عبدالرحمن ، اثر العامل الثقافي في الحد من ظاهرة الانتحار، مجلة الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، عدد ٢٤١، ص٢١ـ٤٦، أغسطس سبتمبر ٢٠٠٢م.

ابن الأثير ، جامع الأصول من أحاديث الرسول ، دار إحياء التراث العربي، ج١١، بيروت، ١٩٨٠م.

ابن منظور ، لسان العرب دار صادر بيروت ، ج٥، د.ت.

الأصفهاني، أبو القاسم حسين ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تحقيق عبد المجيد النجار، دار القرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

البداينة، دياب، جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني ، في دراسة من وجهة نظر علم الاجتماع، مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد ٧، كلية الآداب، الرياض ، ١٩٩٥م.

بدوي ، أحمد زكي ، معجم مصطلحات في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.

بشار، اوزجان ، طقوس وتنوع الانتحار عبر التاريخ، الانترنت ١٤٢٣هـ

بشير، أحمد يوسف أحمد، «إشكالية تحديد المفاهيم والمصطلحات في ضوء المذهبية الإسلامية»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٩٨.

التقرير السنوي العام لمديرية الأمن العام الأردنية للفترة من ١٩٨٠-١٩٩١م، عمان، الأردن، ١٩٩٢م.

الجندي، أنور ، الاسلام نظام مجتمع ومنهج حياه، دار الاعتصام، القاهرة، ط ١ ، ١٩٧٩م.

الجوزية، محمد ابن قيم ، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأنووط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ٣، ١٩٨٦م.

الجيوش، ناجي ، الانتحار-دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري- مؤسسة الشبيبة للأعلام والنشر، دمشق ، ١٩٩٠م.

الحديثى مساعد بن إبراهيم ، مبادئ علم الاجتماع الجنائي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ. .

الحسن ، إحسان ، العوامل المسببة للانتحار ، مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية، السنة الرابعة، العدد (١) ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد، ١٩٧٥م.

الحسين ، سلطان بن محمد وصالح بن علي الغامدي، الانتحار أسبابه والوقاية منه، ط ١ ، شركة مطابع نجد التجارية ، الرياض، ٢٠٠٤م.

الخاومى، نور الدين مختار ، الاجتهاد المقاصدى، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج٢ ، العدد٦٦ ، السنة ١٨ ، رجب ١٤١٩هـ.

الدباغ ، عفاف إبراهيم ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية، مكتبة المؤيد، الرياض، ط ١ ، ١٩٩٤م.

الدوري، عدنان ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٤م.

الربايعة، أحمد ، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، ١٩٨٤م.

رجب ، إبراهيم عبدالرحمن ، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية، دار الصحابة للنشر والتوزيع، شبين الكوم، ٢٠٠٥م.

ـــــــــــــــ ، الإسلام والخدمة الاجتماعية، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

رمضان، عمر العيد ، دروس في علم الإجرام ـ النهضة العربية ـ بيروت، ١٩٧٢م.

الروبي ، ممدوح ، الانتحار بين المتعة والفلسفة والمعتقدات، دار الرشيد، دمشق ط١ ، ١٩٩٨م.

الساعاتي، سامية حسن ،ا لجريمة والمجتمع، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م.

سبع، توفيق محمد ، قيم حضارية في الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الرابعة، العدد٢٥، القاهرة جـ٢، يوليو ١٩٨٣م.

سرحان ، وليد وبشير البلبس، دوافع الانتحار في الاردن، ندوة الجريمة والمجتمع ، نحو مفهوم أشمل للوقاية والعلاج، المكتب العربي لمكافحة الجريمة، عمان ، ١٩٩٠م.

السكري، أحمد شفيق ، قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .

سمعان ، مكرم ، مشكلة الانتحار ـ دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري ـ القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٤م.

سويف، مصطفى، الأسس النفسية للتحامل الاجتماعي، دار المعارف بمصر القاهرة، ١٩٧٨م.

الشاطبى، أبو إسحاق ، المرافقات في أصول الشريعة، دارا لمعرفة، بيروت، ب. ت.

الشناوي، محمد محروس ، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ربيع الآخر، ١٤١٦هـ .

العبادى، أحمد ، الإسلام وهموم الناس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، قطر، العدد٤٩، السنة ١٥، ١٤١٦هـ .

عباس ، أحمد محمود ، الانتحار نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣م.

ـــــــــــــــــ، الانتحار نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

عبد الحليم، محيي الدين ، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد٦٤، السنة ١٨، ربيع الأول ١٤١٩هـ .

العجمي، أبو اليزيد ، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، سلسلة دعوة الحق، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، العدد٢٢، مكة المكرمة، أكتوبر ١٩٨٣م.

العفيفي ، عبدالحكيم ، الاكتئاب والانتحار، دراسة اجتماعية تحليلية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م .

العقاد ،عباس محمود ، الإنسانية في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت).

العلاييني، محمد موفق ، وسائل الإعلام دائرة على وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥م.

عوجي العوجى، مصطفى ، الاتجاهات الحديثة للوقاية من الجريمة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٧هـ.

عيد، محمد فتحي ، السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات نذر الخطر وعلامات التفاؤل، سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية بالسعودية، الكتاب السابع، الرياض ١٤١٠هـ .

عيسوى ، عبد الرحمن ، مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣م.

الغامدي ،عبد الرحيم بن مشنى وآخرون، الانتحار في المجتمع السعودي، في الكتاب لمركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية، العدد (٥) ، ٢٠٠٢م.

غباري، محمد سلامة ، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

غيث، محمد عاطف ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

فرانكل، فكتور ، الإنسان يبحث عن معنى، ترجمة طلعت منصور، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م.

قايد، حسين علي ،دراسات في الصحة النفسية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، ٢٠٠١م .

القرضاوي، يوسف ، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، بنك التقوى، الدوحة، ١٩٧٤م.

قطب، سيد ، نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

كاره ، مصطفى عبدالمجيد ، مقدمة في الانحراف الاجتماعي معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

الكتاب الإحصائي ، إدارة التخطيط والإحصاء لوزارة الداخلية، الرياض، للأعوام ١٤٠٧هـ، ١٤١٤هـ، ١٤١٥هـ، ١٤١٦هـ.

كنعان، أحمد محمد ، المنهج الوقائي في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مجلد ٢٨، العدد الأول، يوليو/ سبتمبر ١٩٩٩م.

الكيلان، ماجد عرسان ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا غالات الفرس، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ١٩٩٠م .

اللحيدان ، صالح بن سعد ، ظاهرة الانتحار عند الشباب ، مركز التوثيق والمعلومات، وزارة الشباب والطفولة، عدد ٥ ، ١٩٩٢م.

مجلة أسرتنا، العدد ٤٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ.

محمد عبدالناصر ، (الجدران المتصدعة، مطابع المحسن ، الرياض، ١٤١٧هـ.

المرزوقي ، حمد ، وشرف المالك، الانتحار في المملكة العربية السعودية أبعاده ومسبباته، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، الرياض (السعودية)، ١٤٠٥هـ.

المغربي، سعد ، علم النفس الجنائي، وزارة الداخلية، كلية الشرطة، مطبعة كلية الشرطة، القاهرة، ١٩٧٤م .

مينارد ، ليون ، الانتحار والأخلاق ، ترجمة : عادل العواد، دار دمشق، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٧م.

الهاشمي، عبد الحميد ، علم النفس في التصور الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣م.

يونغ ، غ. ك. ، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاية خياطة، دار الحوار، دمشق، ط١ ، ١٩٨٥م.

ثانياً:المراجع الأجنبية

E. S. Shneidman (Suicide) , in : Edwins. Shneidman, Death : Current perspectives (Paloaits. Mayfield Publishing company. 1980.

L. P. Mllmann and L.Krarner(A psychological Approach to Abnormal behavior) Englewood cliffs, NJ.,Prentice-Hall. 1975.

Emile Durkheim, Suicide: (A study in sociology), Translated by: A.spauling and Gearge simpson ,(N.Y.Macmillan Publishing ,1950.

Shneidman: Death: Current perspectives (Palo Alts Calfi: Mayfield publbishing company ,1980 .

Marshall .B.Clinard & Robert. F. Meier, “Sociology of Deviant Behavior, (Harcoust Brace Jaranorich college Publishers, Fort worth Philadelphia, 1992

Marcus, E.Why suicide, (N.Y:Horper Collins,1996 .

Mohammed Darhaum; Jurdan , in : Lee.A.Headly, Suicide in Asia and the near East (Brekeley University of California Pres . 1983 .

Micheal T. Netzel ; crime and it,s modification,(pergaman international library pres, N.Y . ,1979 .

Framcis Fukuyama; “ the end of History“ The national interest, samer 1989

Report on the second M.N.Survey on Crime trends operation of crimical justice and crime presentation strategy, 1985 .

Robert L. Basker, “the social work Dictionary, 3rd ed. (Washington, DC: NASW press, 1995 .

Armando Morales, Brad Fard w. sheafor, social work: A profession of many faces, fifth Edition Allyn and bacon, Boton, 1989 .

Caldwell, C. and Gottesman, I. Schizophrenics kill themselves too: a review of risk factors for suicide. Schizophrenia Bulletin, 1990 16: 571–589 .

Apter, A. and Freudenstein, O.; Adolescent Suicidal Behaviour: psychiatric Populations. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of

Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000.

Harwood, D. and Jaco by, R; Suicidal behaviour among the elderly. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000.

Linehan, M., Rizvi, S. Welch, S. and Page, B.; Psychiatric aspects of Suicide behaviour: Personality disorders. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000.

Harwood, D. and Jaco by, R; Suicidal behaviour among the elderly. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000.

Stenager, E. and Stenager, E. (2000) Physical illness and suicidal behaviour. In Hawton, K. and Heeringen, K. (Eds) The International Handbook of Suicide and Attempted Suicide. New York: Willy, 2000.